وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي–

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

عبد الرحمن الأخضري حياته وآثاره

(1514 – 1575م)

مذكرة مكملة لمتطلبات الحصول على شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

إعداد الطالبة :

كلثوم وصيف عثامين

إشراف الدكتور:

معاذ عمراني

اللجنة المناقشة

الأستاذ	الصفة	الجامعة
عمار غرايسة	رئيسا	الشهيد حمّه لخضر
معاذ عمراني	مشرفا ومقررا	الشهيد حمّه لخضر
رشيد قسيبة	مناقشا	الشهيد حمّه لخضر

السنة الجامعية : 1438- 1439هـ/2017-2018م.

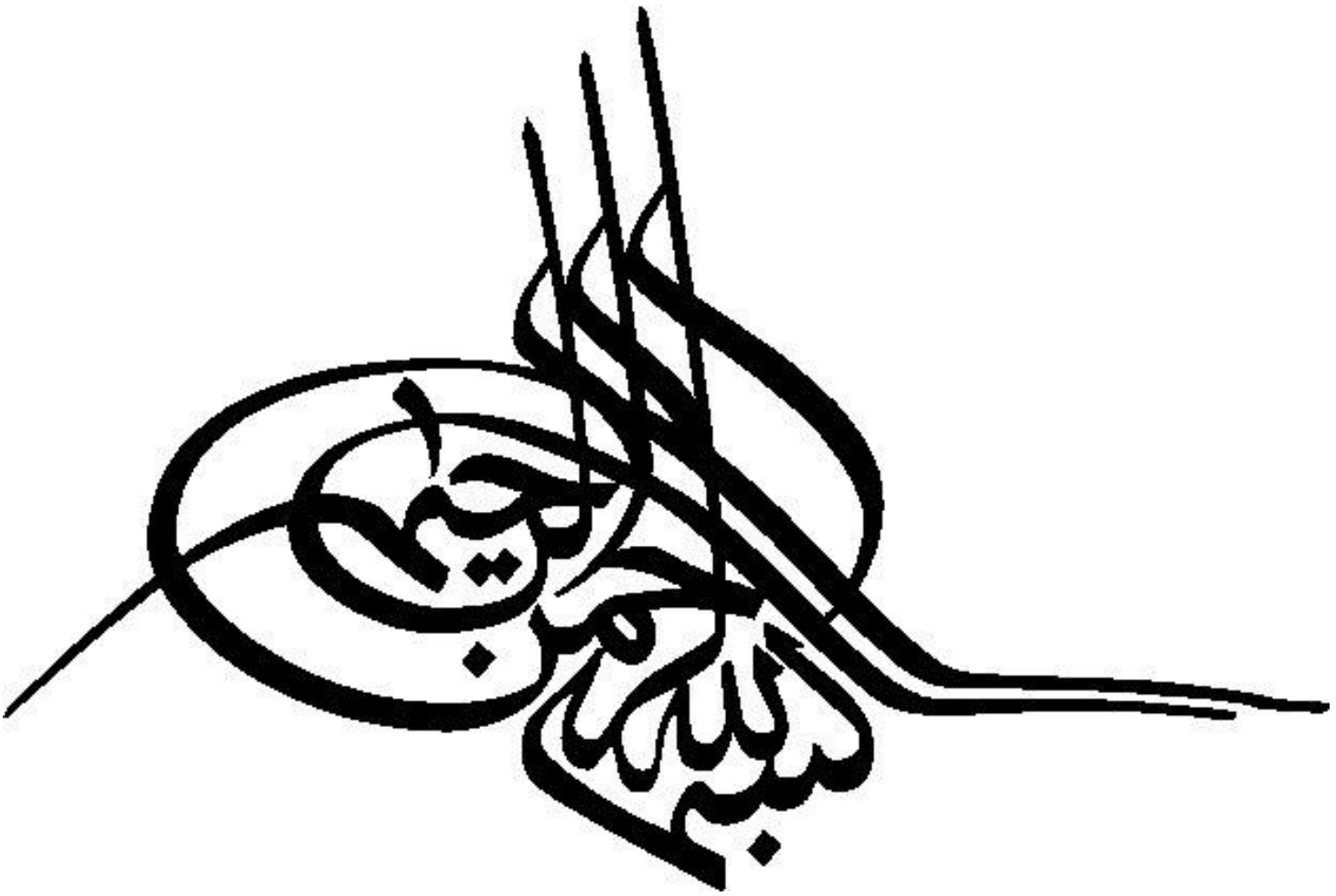
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفـــان

أولا وقبل كل شيء أحمد الله الذي وفقني لإتمام مذكرة تخرجي فلولا عونه لي سبحانه لما استطعت إتمام هذا العمل .

بعد الانتهاء من هذا العمل البحثي المهم الذي أخذ وقتا كافيا لإنجازه في الحلة النهائية التي أريدها ، أتفضل بالشكر والعرفان والامتنان إلى :

الأستاذ الدكتور الفاضل معاذ عمراني على العمل الذي قدمه إلي وذلك من خلال توجيهي لإتمام هذا العمل في شكل راقي ومميز، وكذلك حرصه على متابعة كل خطوات البحث .

وكما لا أنسى شكر الوالدين الكريمين على الدعم الكبير الذي قدماه لي بدون مقابل وهذا شرف أعتز به وأطال الله في عمرهما ، وكذلك الأخوة والأخوات كل باسمه وكل الصديقات اللواتي قدمن لي دعما نفسيا تحفيزيا لإنهاء هذا العمل .

قائمة المختصرات

المختصـــــرات	دلالاتهـــــــــا
د د ن	دون دار النشر
د س ن	دون سنة النشر
د ب	دون بلد النشر
ص	صفحة
ط	طبعة
ج	جزء
مج	مجلد
ع	عدد
هـ	هجري
م	ميلادي
(ق م)	قبل الميلاد
ط خ	طبعة خاصة
مر	مراجعة

مقدّمـــــة

إن إحياء التراث العربي الإسلامي يعتبر مهمة أساسية لكل باحث ومفكر، لأنه يرتبط ارتباطا وثيقا بماضي الأمة وحاضرها، وإن إخراج هذا التراث إلى العلن هو بمثابة إحياء عروبتنا وإسلامنا وإبرازه للعالم كافة، وهكذا لا يطمس التاريخ العربي الإسلامي والذي يعتبر تاريخ الجزائر جزء لا يتجزأ منه، حيث نلاحظ أن جل الكتابات التي كانت حول الجزائر كتبت انطلاقا من وجهة نظر غربية، وأن أغلب هذه الدراسات التي تمت حول فترة الحكم العثماني في العهد الفرنسي كانت تهدف إلى خدمة الاستعمار وتبرير وجوده.

ولقد حاول المؤرخون الفرنسيون من خلال كتاباتهم عن الجزائر أن يبرهنوا بأنها منطقة جغرافية من العالم تداولت عليها الدول والشعوب من الفينيقيين إلى الفرنسيين، وليس هناك في نظرهم شعب أو أمة أو كيان أو مجتمع متماسك، وإنما هناك قبائل متنافرة تخوض حروبا مستمرة لا تخضعها إلا القوى، كالرومان والأتراك والفرنسيين، فهذه فلسفة الغربيين في كتاباتهم عن تاريخ الجزائر.

لكن هناك من كان لهم الفضل الكبير في محو هذا المفهوم الخاطئ، ومن بينهم عبد الرحمن الأخضري، الذي عايش فترة الأتراك، فنجد أنه كان من الأطراف الفاعلة في المجتمع، فقد وهب نفسه للعلم والتعليم ومحاربة كل الشوائب التي ظهرت في مجتمعة من خلال إتباع المنهاج الصحيح وهو القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، حيث نلاحظ بأنه كان من العلماء الأجلاء في ذاك الوقت، فغاص في عدة ميادين كالتأليف والتدريس والخوض في العلوم الدينية والعقلية مثل شرح الألفيات كألفية ابن مالك وغيرها من العلوم التي كانت تدَرَسْ وتدْرَسْ في تلك الفترة، لذلك كان موضوع بحثنا هو دراسة شخصية عبد الرحمن الأخضري .

-الإشكالية:

ولمعالجة هذا الموضوع والإلمام به ودراسته من كل النواحي، طرحنا الإشكالية الآتية :

-ما هو الدور الذي لعبته شخصية الأخضري في الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني؟

- ما هي الأسباب التي دفعت الأخضري كي يقوم برحلات خارج منطقته، وهل كان لها آثر إيجابي على حياته العلمية والتعليمية؟

– لقد كان العهد العثماني عصر تصوف بامتياز، فقد ظهرت الطرق الصوفية المختلفة، وظهر العديد من المتصوفة، فكيف كان موقف العلامة الأخضري من التصوف في تلك الفترة؟ وما موقفه من السلطة العثمانية في الجزائر؟

– ما هو أهم الإنتاج الثقافي والفكري، الذي خلفه عبد الرحمن الأخضري، وكيف استفادت منه الأجيال بعد ذلك؟

– أسباب اختيار الموضوع:

إن أسباب اختيارنا لهذا الموضوع تحكمت فيه عوامل ذاتية وأخرى موضوعية، أما الأسباب الذاتية، فبحكم أن هذه الشخصية(عبد الرحمن الأخضري) هي شخصية من الصحراء الجزائرية، وبحكم انتمائي لهذه المنطقة، فإنني أردت التعرف على هذه الشخصية العلمية، فمنطقة الجنوب تزخر بالعديد من الشخصيات الهامة التي أصبح لها صيت في عدة بلدان، والأخضري واحد منه، فقد ترك لنا مؤلفات أصبحت تدرس في كبرى الجامعات العربية في المشرق والمغرب.

أما بخصوص الأسباب الموضوعية، ففي حدود اطلاعي أن شخصية الأخضري لم تدرس دراسة تاريخية أكاديمية، فوجدت في مرحلة الماستر فرصة مناسبة لإنجاز بحث حول هذه الشخصية، لأن أغلب الكتابات حولها كانت كتابات عامة.

المنهج المتبع :

اعتمدت في هذا البحث على المنهج التاريخي، الذي يجمع بين الوصف والتحليل لمناسبته وتطابقه مع الدراسات التاريخية وصفا ونقدا وتحليلا للمراحل المختلفة التي عاشها العلامة الموسوعي عبد الرحمن الأخضري.

– أهداف الدراسة:

– محاولة العثور على بعض الوثائق أو المخطوطات المتعلقة بحياة عبد الرحمن الأخضري.

– التعريف بشخصية علمية جزائرية لم تأخذ حقها من البحث.

– تزويد المكتبة الجزائرية بدراسات تتعلق بالأعلام الجزائريين الذين لعبوا دورا كبيرا في الحياة الثقافية في الجزائر العثمانية.

قراءة في بعض المصادر والمراجع:

من أهم المصادر التي تطرقت لحياة العلامة الأخضري، نذكر الحسين الورتلاني في كتابه "الرحلة الورثلانية"، إذ تطرّق لحياة الأخضري وكذا التآليف التي ألفها، خاصة وأنه قام بزيارة لضريح الأخضري ولمنطقته، أما عبد الكريم الفكون، فقد تناول في كتابه"منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية" عن المساحة التي احتلها التصوف في حياة الأخضري، فذكر أهم مؤلفاته الصوفية واستدل بها في الكثير من المواضع.

وإذا انتقلنا إلى المراجع التي اعتمدنا عليها، فهي كثيرة ومتنوعة، ونذكر منها الدراجي الزياني ألف كتاب سماه "عبد الرحمن الأخضري العالم الصوفي الذي تفوق في عصره"، فقد تكلم عن التصوف السني عند الأخضري ومحاربته للبدع في عصره وذلك باعتماده في كتابه على بعض المخطوطات التي توفرت لديه ومقارنتها ومحاولة إعطاء المعلومات الصحيحة عن هذه الشخصية.

أما عبد الرحمن تبرماسين ومن خلال كتابه "ديوان عبد الرحمن الأخضري"، فقد تناول باسهاب أهم الدواوين التي ألفها الأخضري، والمجالات التي ألف فيها، كما تطرق عبد الحليم صيد ومن خلال كتابه"عبد الرحمن الأخضري حياته وآثاره" إلى أهم المحطات في حياة العلامة الأخضري ومن كل الجوانب.

- **الصعوبات :**

واجهتني أثناء إنجاز هذا البحث عدة صعوبات، ومن أهمها نذكر ما يلي:

شح المصادر حول شخصية الأخضري، وأما أغلب المراجع التي كتبت حوله، وعلى الرغم من قلتها، إلا أنها في مجملها غير أكاديمية، وغير متوفرة بكل أنواعها ورقية كانت أو إلكترونية لتزويدنا بالمعلومات الكافية للإلمام بهذا الموضوع.

تقسيمات الموضوع:

قسمت بحثي إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، فالفصل الأول: كان عنوانه التعريف بحياة العلامة عبد الرحمن الأخضري، وتناولت فيه نسبه وتعليمه وثقافته وزواجه وذريته وأيضا أهم تلاميذه، الذين تخرجوا على يديه، ثم وفاته ونهاية مسيرته الحياتية، أما الفصل الثاني والموسوم بالرحلة في حياة الأخضري، فتطرقت فيه للتعريف بمعنى الرحلة وأسبابها

وغايتها، وكذا الرحلات الداخلية والخارجية التي قام بها العلامة عبد الرحمن الأخضري، وأيضا نظرة بعض رحالة المغرب الإسلامي له.

وفي الفصل الثالث تناولت بعض مواقف الشيخ الأخضري من قضايا عصره، حيث أفردت الحديث فيه عن موقف الأخضري من التصوف، ثم موقفه من السلطة العثمانية في الجزائر، أما الفصل الرابع، فكان عبارة عن محصلة للإنتاج الثقافي والفكري للأخضري، سواء في المجالات الدينية (الحديث والفقه، التصوف...)، أو المجال العقلي (المنطق والحساب والفلك...)، أو المجال اللغوي.

وقد ذيلت هذا البحث بخاتمة لخصت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة، وأتبعت ذلك بمجموعة من الملاحق، لتوضيح بعض المسائل والقضايا التي وردت في هذا البحث، وفي نهاية هذا الموضوع أتمنى أن تكون هذه الدراسة إضافة للمكتبة الوطنية التاريخية، كما لا يسعني إلا أن أشكر الأستاذ الفاضل والمشرف على هذا العمل، والذي تابعه من بدايته إلى غاية سطوره الأخيرة، وفي الأخير أقول إن كل عمل ينجزه الإنسان يعتريه الخطأ والنسيان، فإن أصبت، فذلك فضل من الله وحده، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان.

الفصل الأول: التعريف بالعلامة عبد الرحمن الأخضري.

نسب العلامة عبد الرحمان الأخضري

تعليم الأخضري وثقافته

زواجه وذريته

أهم تلاميذه

وفاة العلامة الأخضري

المبحث الأول: نسب العلامة عبد الرحمن الأخضري

هو الشيخ العلامة والإمام المصلح أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الصغير بن محمد بن عامر الأخضري ولد في عام 920هـ/1514م[1]، ببلدة بنطيوس[2] ببسكرة[3]عائلة علمية شهيرة تنحدر من قبيلة بني سليم[4]، العربية التي وفدت مع الهلاليين إلى بلاد المغرب الإسلامي بإيعاز من الفاطميين بمصر في حدود القرن 11م [5].

وهناك بعض الآراء اختلفت في تسلسل أسلافه، حيث نجد العلامة الأخضري ينسب نفسه إلى الصحابي الجليل "العباس بن مرداس[6] بن أبي عامر السلمي، "وينسبه الآخرون إلى "خضر بن عامر بن رياح، "وآخرون ينسبونه إلى بطن من بطون الدواودة، وهذا خلط كبير بين سلسلة خضر بن عامر بن رياح والسلسلة التي تشمل الدواودة أبناء داود بن مرداس بن رياح، وهاتين السلسلتين يجمعهم نسب جدهم رياح بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال، وهذا يرجح كفة عبد الرحمن الأخضري، الذي نسب نفسه للصحابي الجليل العباس بن مرداس

([1])–فوزي مصمودي، **العلامة الموسوعي عبد الرحمن الأخضري(1575، 1514م)**:د ط، موفم للنشر، الجزائر، 2008، ص 19. أنظر. عاشور شرفي، **معلمة الجزائر**، د ط، دار القصبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص ص 59–60.

([2])–**بنطيوس**، هي إحدى حواضر العلمية ببسكرة تشتهر بزراعة النخيل في الزاب تبعد عن بسكرة بحوالي(45 كلم ^{2}) من الغرب وهي تابعة لبلدية مخادمة دائرة أورلال، ولاية بسكرة، وكسبت بروزا كبيرا وطنيا وعالميا بفضل العلامة الأخضري الذي كانت كلمة البنطيوسي ترافق إسمه، ووردت هذه الكلمة أيضا في عدة كتب كرحلة العياشي، والورتلاني، وغيرها من المؤلفات، نفسه، ص 18.أنظر، عبد الحليم صيد، **عبد الرحمن الأخضري حياته وآثاره**، د ط، دار علي بن زيد للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016، ص 29.

([3])–بسكرة عاصمة الزيبان، وهي من أقدم مدن الجزائر سكنها البربر قبل قدوم الرومان وتداول على أمرها بعد الفتح الإسلامي، بنورمان 1058م، ثم بنو سندي 1152م، ثم بنو مزني من آواخر القرن الثالث عشر إلى قدوم الأتراك الذين وصلوا إليها أيام حسن آغا والذي إحتل الحضنة ودخل بسكرة سنة 1542م، وبنى بها الأتراك برجا عند منبع المياه وشن عليها صالح باي عدة غارات وبقيت المدينة على هذا الحال، إلى غاية إحتلال الفرنسيين لها يوم 4 مارس 1844.فايزة طايبي أحمد، **البحث الدلالي في العصر التركي من خلال السلم المرفق في المنطق لعبد الرحمن الأخضري**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ضمن مشروع الدراسات اللغوية والنحوية في العصر التركي بالجزائر، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف،2008–2009، ص 77.

([4])–بنو سليم بن منصور هي قبيلة عدنانية كانت تسكن شمال شرق مكة، نزل العديد من سكانها إلى مصر وقد اشتهروا مع الهلالين بزحفهم على بلاد المغرب، مصمودي، المرجع السابق، ص 18.

([5])–نفسه، ص 18–19.

([6])–العباس بن مرداس(000–18هـ/000–639م)هو العباس بن مرداس بن أبي عامر السلمي، من مضر أبو الهيثم وهو شاعر وفارس من سادات قومه وأمه الخنساء الشاعرة، أدرك الجاهلية والإسلام وأسلم قبل فتح مكة، وكان من المؤلفة قلوبهم، ويدعى فارس العبيد بالتصغير، لم يسكن مكة ولا المدينة.خير الدين الزركلي ، **الأعلام**،ط 15،دار العلم للملايين،لبنان،2002،ج 3،ص 267.

وهذا مذكور سابقا حيث أن هذا الأخير كان أحد أحفاده من بين الوافدين من قبيلة بني سليم للمغرب الأوسط[1].

ولقد نزحوا إلى بلدة بنطيوس واستقروا بها، كما يعتقد أن جده محمد بن عامر هو الذي انتقل من البادية إلى منطقة بنطيوس ببسكرة، فكانت لهم ملاذا ولأبنائهم إلى يومنا هذا، رغم الظروف التي عاشها آل الأخضري عبر مراحل عديدة من تاريخ المغرب الأوسط خاصة، وفي رحاب هذه الأسرة العلمية التي توارث أفرادها العلم والتعليم والإصلاح قرونا عديدة، وقد ولد الشيخ عبد الرحمن الأخضري في العام الذي تولى فيه المجاهد عروج بربروسا قيادة المغرب الأوسط بلقب بايلرباي، أي باي البايات، وذلك في عام 1514م، وهذا حسب ما جاء في منظومة (السلم المرونق) حيث يقول[2]:

وقل لمن لم ينتصف لقصـــدي العذر حق واجب للمتـــدي[3]
ولبني إحــدى وعشرون سنـــة معذرة مقبولة مستحسنـــة
لاسيما في عـــاشر القـــرون ذي الجهل والفساد والفتـــون
وكـــان في أوائل المحـــرم تأليف هذا الرجز المنظـــم
من سنة إحــدى وأربعيـــن من تسعة من المائـــة [4].

ويستنتج من هذه الأبيات أن السلم ألفه عام 941هـ وعمره حينها(21عام) وبالتالي يكون عام 920هـ وبهذا نلمح إلى أهمية التأريخ عند الشيخ عبد الرحمن الأخضري ، حيث نلاحظ في كل أعماله تأريخا لها[5]،

(1)- بوزياني الدراجي، **عبد الرحمن الأخضري العالم الصوفي الذي تفوق في عصره:**ط 2، بلاد للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص ص 13-14.

(2)-مصمودي، المرجع السابق، ص 19.

(3)-نور الدين عبد القادر، **صفحات من تاريخ الجزائر(من أقدم عصورها إلى إنتهاء العهد التركي)**، دط، دار الحضارة، الجزائر، 2006، ص 210.

(4)- مصمودي، المرجع السابق، ص 19.

(5)- الدراجي، المرجع السابق، ص 17.

ونجد أيضا نفس السنة لميلاده أي 920هـ في كتاب آخر[1]، لكن هناك عدة آراء اختلفت في سنة ميلاد الأخضري[2].

حيث نجد خير الدين الزركلي يقول بأن سنة(918هـ/1512م) هي سنة ميلاده [3]، وآخرون قالوا 910هـ/1504 م ومنهم من قال 818هـ-1415م، وغيرها من الآراء الأخرى:

تم بحمد الله ما قصدنـــا من نظم هذه التي أردنـــا

سميتها بالدرة البهيـــة فهي لما في أصلها محويـة

وكان في محرم الحـــرام بدءا وختمنا لذا النظـــام

في إحدى وثمانين سنـــة من بعد تسعمائة مستحسنـــة[4]

فهناك من يعتبر هذه الأبيات المذكورة دليل على أنه كان حيا في هذه السنة على الأقل، لكن نجد أبو القاسم سعد الله يقول يمكن أن يكون هناك خطأ في كلمة ثمانين التي قد تكون بثلاثين وقد يكون هذا الكلام صحيح، لأنه لا يستقيم مع سياق وزن النظم[5].

أما والدة الأخضري، فهي السيدة المسماة حدة بالحاء المفتوحة والدال المشددة، وهي من أهالي قرية تفلفال[6] من قبيلة خضاره، ولعلها نفس القبيلة التي تحمل لقب أخضري وهذا هو السبب، الذي أدى إلى الالتباس في كون الأخضري من تفلفال أم من بنطيوس ؟ لكن حسب المصادر المراجع المطلع عليها ثبت أنه من بنطيوس، وليس من تفلفال لأن هذه القرية تسكنها قبائل أمازيغية[7](شاوية)، والذي زاد اللبس أكثر هو وجود زاوية ابن لعلى تنطق

([1])- عبد الرحمن بن صغير الأخضري، **الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون**، ت محمد بن عبد العزيز نصيف، دط، مركز البصائر للبحث العلمي، السعودية، د ت، ص 19.

([2])- نفسه.

([3])- الزركلي، المرجع السابق، ص 331.

([4])- نفسه.

([5])- الدراجي، المرجع السابق، ص 16.

([6])-تفلفال هي قرية تقع على حافة الوادي الأبيض بين مدينتي بسكرة و أريس. مصمودي، المرجع السابق، ص 39.

([7])-الأمازيغية، أصلها وارد من كلمة مازيغ وهو الرجل النبيل أو الحر أو الشريف، والأمازيغ كلمة تطلق على سكان شمال إفريقيا الأصليين. تبرماسين، **ديوان عبد الرحمن**، المرجع السابق، ص 13.

بلعلى بفتح الباء واللام المشددة "وليس بلاله Belala كما أوردها عمار طالبي نقلا وترجمة عن لوسياني، وهي قريبة من ضريح سيدي عبد المؤمن، حيث يقوم بشؤنها أبنائها وكما يطلق على أصحاب هذه الزاوي "أولاد سيدي أحمد" وهؤلاء هم أخوال عبد الرحمن الأخضري فإلى عهد قريب كان أبناء الزوايا لا يتزوجون إلا ببنات الزوايا صيانة للشرف وحفاظا للعرق" ومن هذا الزواج نشأ عبد الرحمن الأخضري، ومنه استمد لقبه[1]،

بينما نجد عبد الرحمن تبرماسين يقول بأنه لا يوجد سبب يبين زواج والد عبد الرحمن الأخضري من قرية تفلفال البعيدة عن بلدة بنطيوس فلعله كان يدرس في تلك القرية مدة طويلة ألجأته إلى تحصين نفسه بالزواج أو كانت له قرابة من جهة أمه بالزوجة التي إقترن بها[2] .

وفيما يخص عدد أشقاء الأخضري، فإن له أخ واحد وصفه بالورع الزاهد في كتابه العقد الجوهري وهو أكبر سنا من عبد الرحمن الأخضري، ولا توجد معلومات أخرى عنه، كما نجد أن عبد الرحمن الأخضري قد درس عليه بعض العلوم في بداياته، كما أن أجداد الأخضري كانوا يعيشون في البادية وذلك قبل أن يستقر بهم القرار في بنطيوس واسم جده هو عامر[3].

وفيما يخص تسمية والده بالصَغَيِرْ فهي تعود إلى كونه أصغر إخوته فسمي بالصغير لذلك ثم أدخل عليها التصغير بتشديد الياء من باب الترخيم المعهود في كلام العرب، وقد يكون اسم الصغير ناتج عن تعبير واقعي للذات بسبب قصر في الطول ونحافة في الجسم بشكل لافت للنظر[4].

أما بخصوص مصدر لقب الأخضري ومن أين استمده، نجد أنه يوجد لكل عالم علامة لقب يميزه عن غيره وتعطيه مكانة مرموقة في أوساط المجتمعات وكذلك بين أقرانه من العلماء والمثقفين، ومن بينهم نجد لقب "الأخضري، وهذا لقب لازمه بعد أن عرف به، فهو

([1])–نفسه، ص ص 39–40.

([2])–عبد الحليم صيد، **عبد الرحمن الأخضري حياته وآثاره**، ط1، دار علي بن زيد للنشر، الجزائر، 2016.ص 23.

([3])– صيد، **عبد الرحمن الأخضري**، المرجع السابق، ص 23.

([4]) – نفسه، ص ص.25–26.

يعود إلى بطن من بطون قبيلة بني سليم الشهيرة[1]، بينما يؤكد الشيخ الأخضري بنفسه في كتابه "شرح السلم المرونق":"أن نسبه يعود إلى الصحابي الجليل العباس بن مرداس، والأخضري نعت أي وصف لعبد وهو تعريف إلى نسبنا على ما اشتهر في ألسنة الناس وليس كذلك، بل المتواتر عن أعالي أسلافنا وأسلافهم أن نسبنا يرجع إلى العباس بن مرداس السلمي[2].

وهناك من قام بنسبه إلى الجبل الأخضر، الذي يقع في الشمال الشرقي في دولة طرابلس الغرب، أي(ليبيا)حاليا وهي المجاورة للجزائر، ونجد منهم أي الذين نسبوا لقبه للجبل الأخضر: المنياوي، حيث يقول "الأخضري نسبة إلى الأخضر جبل بالمغرب على ما ذكر لي بعض الطلبة من المغرب" [3].

لكن هناك من يبطل النقل الشفوي الذي لا يحتوي على دليل ثابت يبين صدق هذا القول، لأنها تتوفر على التحري الدقيق والعلمي في تحديد الموقع أي المكان الجغرافي، حيث الجبل الأخضر لا يوجد بالمغرب وإنما يوجد "بطرابلس الغرب "ليبيا"، إلا إذا كان يقصد بالمغرب جل الأقطار التي تقع بالشمال أي المغرب الكبير أي من الحدود الغربية لمصر، إلى المحيط الأطلسي، أما نور الدين عبد القادر فيقول في كتابه: "ولقب أسرة الأخضري قيل هو نسبة إلى الجبل الأخضر بطرابلس الغرب "يقصد ليبيا" لأن أسلافه أقاموا به، وقيل بل هو نسبة إلى فرع من قبيلة رياح اسمه الأخضري"[4]وكما نجد أن هذا الأخير ينفي هذه النسبة عنه ويوردها إلى غيره من الكتاب حسب المعلومات التي لديه التي تنفي هذه النسبة، وقبيلة رياح توجد بالصحراء"[5].

كما تعتبر هذه القبيلة بأنها بطن من بطون الذواودة من أولاد رياح المنتمين إلى الأخضر بن عامر بن رياح "كما أن الأخضري من بطون رياح إذا فاللبس قد يكون محل التأكيد عن اقتران كلمة الأخضر بلقب بن عامر بن رياح، وإن كان عبد الرحمن الجيلالي لم يقع في

([1])- مصمودي، المرجع السابق، ص 22.

([2])- نفسه، ص 22.

([3])- عمار طالبي، "**عبد الرحمن الاخضري حياته وأعماله**"، مجلة العلوم الاسلامية ،قسنطينة، ع 2، 1987، ص 122.

([4])-نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص ص 212.

([5])-عبد الرحمن تبرماسين: **ديوان عبد الرحمن الأخضري**، ط 1، منشورات أهل القلم، الجزائر،2009 ، ص ص 34-35.

الخطأ، الذي وقع فيه المنياوي لا لإلمامه بالتاريخ والتراجم والسير، وكذلك الاطلاع على الكثير من مؤلفات الأخضري[1].

وعند استقصاء الأحداث لدى عبد الرحمن بن خلدون الذي عاش في منطقة الزاب[2] بالجزائر والذي يعرف هذه المنطقة جيدا، حيث نجده يحدثنا عن قدوم بني هلال إلى شمال إفريقيا[3].

ويحدثنا بالذات عن قبيلة رياح فيقول: "وكانت بطونهم عمرو، ومرداس، وعلي كلهم بنو رياح وسعيد بن رياح، وخضر بن عامر بن رياح وهم الأخضر، ولمرداس بطون كثيرة ،،وهذه البطون نزلت الصحراء من باجة بإفريقية (تونس) إلى الأغواط وبطن هؤلاء هو خضر بن عامر بن رياح إسقر بالزاب مما أدى بالكثير إلى الاعتقاد بأن الأخضري منهم اعتمادا على نسبة الأخضر لعامر، وأما الأخضر فيقولون أنهم من ولد خضر بن عامر بن رياح، وليس عامر بن صعصعة، وإنما قد يكون عامر آخر من أولاد رياح، ولعله عامر بن يزيد بن مرداس المذكور في بطونهم[4].

لكننا نجد عبد الرحمن الأخضري يثبت نسبه في كتاب السلم المرونق، فيقول: "والأخضري نعت للعبد وهو تعريف لسلفنا على ما اشتهر في ألسنة الناس، وليس كذلك بل المتواتر عن أعالي أسلافنا وأسلافهم[5]، إن نسبتنا في السنة الناس ابن مرداس السلمي، الذي قال:

أتجعل نهبي ونهب العبيدي ما بين عينيه والأقرع

فما كان قيس ولا حابس يفوقان مرداس في مجمع

([1])– عبد الرحمن تبرماسين، المرجع السابق، ص ص 34–35.

([2])– لغة، زاب الشيء إذا جرى وسال، وجمعها زوابي أو زيبان، واصطلاحا: الزاب نوعان نهر دجلة والفرات يتصلان من الضفة اليسرى فالزاب الأعلى له شأن كبير في التاريخ والزاب الأسفل. وفي بعض المراجع الزاب بلد بالأندلس، ويرى ليون الإفريقي أن الزاب إقليم لخمسة مدن هي: بسكرة البرج ونفطة وتلكة ودوسن، عبد القادر بو معزة، **بسكرة في عيون الرحالة الغربيين**،ط 1،دار علي بن زيد، الجزائر،2016،ج 1،ص 16.

([3])–عبد الرحمن بن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، مر سهيل زكار، ط 4،دار الفكر، للنشر والطباعة،لبنان،200،ص 78.

([4]) – تبرماسين، **ديوان عبد الرحمن**، المرجع السابق، ص34.

([5])– نفسه، ص34.

وما كنت دون امرئ منهما ومن تخفض اليوم لا يرفع[1]

وهذا دليل على أنهم من قبيلة السلمية وهذا ما يؤكده العلامة عبد المجيد حبة[2]يقول: "وهبه من صميم قبيلة الأخضر فكيف يكون من الذواودة، إنما يجمع بينهما رياح، وكل رياحي ذواديا "أما كلمة الأخضري فيردها ابن خلدون إلى السوداء معتمدا في ذلك ما أورده صاحب الأغاني "والعرب تسمي الأسود أخضر "وقال: "وسموا الخضر لسوادهم "ومن هنا لا نجد اختلاف بين قول ابن خلدون وعبد الرحمن الأخضري، الذي يقول بنفسه والأخضري نعت للعبد[3].

وفي رواية أخرى يقال: "حين نشبت الحرب بين سلطان بجاية وسلطان مسيلة(القلعة)هاجرت أسرته إلى البلاد المصرية، وما لبثت أن عادت إلى البلاد التونسية في رفقة أبي الحسن الشاذلي الصوفي المشهور، وأخيرا استقر بهم المقام في نواحي بسكرة وبنوا زاوية هناك"[4]، كما يوجد لعبد المجيد حبة رأي مخالف، فهو يقول: "لم يهاجروا إلى مصر، وهو من قبيلة السلمية المنتمية إلى بني سليم أما حادثة الحسن الشاذلي فلا أصل لها، لأن الشاذلي توفي في صحراء مصر "أما الزاوية وإنشائها يعتبر كنتيجة للمقام والمكانة التي يتحصل عليها أي شخص من المجتمع بعد معرفة مقامه وكراماته الاجتماعية خاصة إذا كان من المتصوفين أو العلماء البارزين، وتقوم الزاوية بتقديم الدروس في شتى المجالات الدينية واللغوية والعلمية وكذلك إيواء الطلبة ويكون هدفها تعليمي على عكس بعض الزوايا التي تنشر الخرافات والشعوذة لجلب الأنصار[5].

المبحث الثاني: تعليم الأخضري وثقافته:

([1])- تبرماسين، **ديوان عبد الرحمن**، المرجع السابق، ص 35.

([2])-عبد المجيد حبة من علماء الزاب المعاصرين ،وله إحاطة بعلم الأنساب والتاريخ والأدب والعلوم الدينية واللغوية، توفي في سنة 1999م. نفسه،ص 35-36.

([3])- تبرماسين، **ديوان عبد الرحمن**، المرجع السابق، ص 35.

([4])- طالبي، المرجع السابق، ص 123.

([5])- تبرماسين، **ديوان عبد الرحمن**، المرجع السابق، ص 36.

تعتبر مدينة بسكرة وبنطيوس[1] بالضبط هي المدينة التي نما وشب فيها ونهل العلامة عبد الرحمن الاخضري العلم من محيط أسرته، حيث أخذ العلم عن والده وشقيقه الأكبر وكان والده من علماء عصره[2] وعائلته كانت تتصف بالتقوى والزهد والصلاح والعلم الشرعي النقي، بعيدا عن البدع والترهات والأباطيل فهي أسرة تقية تعيش على الفطرة السليمة، كان والده الفقيه الشيخ محمد الصغير أول من أجلسه مجلس العلم وحببه إليه وقربه منه، لاسيما المبادئ الأولى للدين الإسلامي واللغة العربية وشيئا من الأدب والنحو الذي كان بارعا فيه بعدما تمكن من شرح ألفية ابن مالك، كما درس عليه بعض العلوم الشرعية والعلمية كالفلك والحساب والفرائض[3].

ولقد ألف والده "حاشية على مختصر خليل "وكتاب في التصوف، وكما تذكر بعض الروايات أن الأخضري قد طلب العلم بقسنطينة وأخذ على الشيخ عمر الوزان[4]، وكذلك كان عمه إبراهيم الأخضري أشهر علماء طولقة ويعد من شيوخ تونس وعلمائها ومفتييها، هذه عوامل ساعدت الفتى على أن ينشأ نشأة صالحة، وأن يتكون تكوينا سليما بعيدا عن الأوهام والخرافات فأصبح يتمتع بعقل سليم وبفكر نير ناضج فأدرك وضع المجتمع الذي يعيش فيه فشن حربا ضاربة على المشعوذين[5] .

ويقال أيضا بأنه قد درس بتونس وهي روايات ضعيفة غير مؤكدة، وقد أخذ التصوف على الطريقة الشاذلية عن الشيخ محمد بن علي الخروبي الجزائري عندما مر بالزاب ولقد كان الأخضري علامة، مشاركا بالتدريس والتأليف في غالب علوم عصره وقد ظلت منظوماته العلمية في الميراث والمنطق والبيان والتصوف مرجعا مهما للعلماء والطلبة في مختلف أقطار العالم الإسلامي خلال القرون السابقة[6].

([1])- صيد، **عبد الرحمن الأخضري**، المرجع السابق، ص 29.

([2])-حنيفي هلايلي، **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، ط 1، دار الهدى، الجزائر، 2008، ص230.

([3])-مصمودي، المرجع السابق، ص24.

([4])-عمر الوزان الكماد وهو مشهور بلقب الوزان من أبرز من أبرز علماء قسنطينة في القرن العاشر. أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي(1500-1830)**، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1998، ج 1،ص 384، 379.

([5])-عبد الرحمن تبرماسين ، **عبد الرحمن الأخضري حياته وآثاره**، د ط، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، الجزائر، 2017، ص 39.

([6])- عبد الرحمن تبرماسين ، **عبد الرحمن الأخضري**، المرجع السابق، ص 39.

كما تجدر الإشارة إلى أن إيالة الجزائر اشتهرت بها عدة حواضر ثقافية، كانت مركز إشعاع ديني وثقافي كمدينة قسنطينة التي يقول عنها **قفارل Gaffarel:** "إن قسنطينة كانت على عهد الأتراك عاصمة دينية، وكان العلماء بها يتمتعون بالسيادة المطلقة، والنفوذ التام كما كانت غاصة بعدد كبير من الطلبة ينهلون العلم من خمسة عشرة مدرسة للعلوم الدنيوية والآخروية، إن قسنطينة كانت مبعث نور الجزائر وكما كانت تشرف العلماء وتقدرهم حق قدرهم[1].

وبالحديث عن أساتذة عبد الرحمن الأخضري، فإن التفوق الذي تحصل عليه عبد الرحمن الأخضري في سنه الصغيرة ليس وليد الصدفة بل كان نتيجة عدة عوامل أهمها، تلقيه العلم على يد والده وأخيه وعمه ووجده حيث نشأ في بيت علم وثقافة، كما كانت عوامل أخرى ساعدت في نبوغه، وهي كالتالي أساتذته الذين تلقى على يدهم معظم العلوم، وكذلك رحلاته إلى بعض بقاع العلم، ومن هنا سوف نتكلم عن مدرسيه حيث نذكر منهم[2]:

1. محمد الكماد الوزان:

درس العلامة الأخضري على يد محمد الكماد[3]الوزان بقسنطينة وهو الذي قام بشرح صغرى السنوسي في التوحيد، ويقول عبد الكريم الفكون في كتابه منشور الهداية: (وممن سمعنا به ورأينا بعض فتاويه الشيخ أبو عبد الله محمد الكماد قاضي الجماعة بقسنطينة في ابتداء أمره، ثم في آخره تنوب على قضاة، العجم حين كانت لهم الدولة، وكان معاصرا لهم، وبينهم شنآن عظيم، وكان فصيحا خطيبا صيتا ذا سمت وزي حسن ورائق خط وكان كثير النثر، الشعر وصنعته)[4]، ولم تحدد الفترة الزمنية التي رحل فيها عبد الرحمن الأخضري

([1])–رشيدة شدري معمر، **العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر(فترة الدايات 1671–1830)**،، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، الجزائر، 2005–2006، ص 38. أنظر الملحق رقم (3)، ص 111.

([2])–نفسه، ص 38.

([3])– عائلة الكماد عريقة في قسنطينة وتولت وظائف دينية وقضائية، وهي قريبة من عائلة الوزان. عبد الكريم الفكون، **منشور الهداية**، المرجع السابق، ص 44.

([4])– عبد الكريم الفكون، **منشور الهداية**، تح :أبو القاسم سعد الله، ط 1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1987، ص 44. أنظر، بشير ضيف بن أبي بكر بن البشير بن عمر الجزائري، تح عثمان بدري، **فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث**، ط 2، دار ثالة، 2007، ص 111، وكذلك ، محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، تح: عبد المجيد خيالي، ط 1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2002، ص 410.

إلى قسنطينة طلبا للعلم، وهل هي بعد رحلته الى تونس ام قبلها وقد ذكر في خاتمة (شرحه لصغرى السنوسي) أنه من تلاميذ الشيخ الإمام سيدي عمر الوزان[1]، ولقد قال المنجور في فهرسته هو الفقيه العالم الكبير المتفنن المحقق الراسخ الصالح أبو حفص عمر الأنصاري القسنطيني المشهور بالوزان، كان هذا الرجل آية الله يبهر العقول في تحقيق فنون المنقول والمعقول من عباد الله الصالحين[2]، (960 هـ/1552م)[3].

والدليل الذي يثبت أن عبد الرحمن الأخضري قد درس على عمر الوزان هو قوله: (سمعت شيخنا أبا حفص عمر بن الوزان يقول: التسلي هو ترك الشيء عن طيب نفس قال: وهو بخلاف الزهد)، وفي موضع آخر يقول: (سمعت شيخنا أبا حفص عمر بن الوزان يقول: إن ما ذكره المؤلف قد سبقه إليه القاضي عياض في الشفا إلا أنه رتبه وبينه)[4].

وللوزان تأليف عديدة، منها على طريق المطالع والمواقف سماه البضاعة المزجاة في غاية التحقيق وتأليف على قول خليل وخصصت نية التحالف، المرابط عرفة القيرواني وصحبه وهو كتاب جليل ختمه بالتصوف ومد فيه النفس سماه البضاعة المزجاة في غاية التحقيق والإيضاح لتلك الأغراض، ومنها فتاوى الفقه والكلام وغيرهما، ولقد أخذ عنه جماعة كعبد الكريم الفكون وأبي الطيب البسكري ويحي بن سليمان وكذلك الأخضري، ولقد أعطت أسرة الكماد عددا من العلماء للجزائر[5].

ولقد قال عنه الفكون في كتابه منشور الهداية شيخ الزمان وياقوتة العصر والأوان، العالم العارف وأخبر عنه انه كان لا يجاري في علوم الفقه والأصول والنحو والحديث وانه كانت له

([1])– فوزي مصمودي، المرجع السابق، ص 25.

([2])– أحمد المنجور، **فهرس أحمد المنجور**، تح: محمد حجي، د ط، دار المغرب، الرباط، 1976، ص 31–32.

([3])– محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، تح عبد المجيد خيالي، ط 1، دار الكتب العلمية، لبنان، ج 1، 2003، ص 410.

([4])– صيد، **عبد الرحمن الأخضري**، المرجع السابق، ص 35 .

([5])– أحمد بابا التنبكتي، **نيل الإبتهاج بتطريز الديباج**، تح: عبد الحميد عبد الله الهدامة، ط 2، دار الكتب، ليبيا، 2000، ص 307.

اليد الطولى في علم التصوف، وانه كانت تشد اليه الرحال لطلب العلم ويفتي بأقواله وأفعاله[1].

2-محمد بن علي الخروبي:

هو الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي الخروبي من العلماء والفقهاء المشهورين وكذلك هو من أهل التصوف والحديث[2]، نسب الخروبي إلى صفاقس وطرابلس الغرب بليبيا وكذلك إلى الجزائر، ولعله زار أو تربى في إسطنبول قبل قدومه إلى الجزائر[3]، توفي 963هـ/1555م وهو تلميذ أحمد زروق توفي 899هـ[4]الذي مر بالزاب قاصدا أداء الحج، فأخذ عنه الأخضري، وأما ما نقله بعض الناس أن زروقا هو شيخ الأخضري مباشرة بقوله في منظومته القدسية:

وفي كتاب شيخنا زروق عجائب فائقة تـــــروق[5].

فهو شيخه بطريق غير مباشر، لأن زروق عاش في القرن التاسع والأخضري عاش في القرن العاشر، فزروق شيخ لشيخه ولكن يصح أطلاقه عليه من باب المكانة ، وعن الخروبي تلقى ورد الشاذلية والزروقية، كما درس على مرابط قرية ليشانة غير البعيدة عن مسقط رأسه وهو الشيخ عبد الرحمن بن القرون وقد قرأ على الشيخ عمر الوزان بقسنطينة[6].

3-أبو عبد الله محمد بن غازي:

هو محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن غازى أبو عبد الله العثماني نسبة إلى بني عثمان أحدى بطون قبيلة كتامة الريفية، المغربي المكناسي[7]المالكي الشهير بابن

([1])- سعودي يمينة، **الحياة الأدبية في قسنطينة(خلال الفترة العثمانية)**، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في الأدب الجزائري، القديم، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، 2005-2006، ص 68.

([2])- قاسم مخلوف، المصدر السابق، ص 410.

([3])- سعد الله، **تاريخ الجزائر**، المرجع السابق، ج1، ص 499، 497.

([4])- تبرماسين، **عبد الرحمن الأخضري**، المرجع السابق، ص 40.

([5])- نفسه، ص 40.

([6])- نفسه، ص ص 41، 40.

([7])-لا يعتبر المؤرخون مكناسة من قبائل زناتة بل هم من ولد ورصطف(ورسطيف) بن يحي بن ضرن بن رحيك بن مادغيس الأبتر وأقرب الشعوب البربرية إليهم زناتة لأنهم جميعا من ولد يحي بن ضرن المذكور على أشهر الأقوال، ولمكناسة في القديم بطون كثيرة منها وصولات وبوحات وبنو ورفلاس، وغيرها. محمد ابن غازي العثماني، **الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون**، تح عبد الوهاب إبن منصور، ط 2، المطبعة الملكية، الرباط، 1988، ص 5- 8. أنظر، ابن القاضي، المرجع السابق، مج 2، ص 163-164.

غازى ولد بمكناسة سنة 841هـ وتوفي يوم الأربعاء 9 جمادى الأولى عام 919 هجري بفاس ودفن بالكفادين، من تصانيفه "إنشاد الشريد من ضوال القصيد"، و"منية الحساب"، وشرحها المسمى "بغية الطلاب"، و"إمتاع ذوي الاستحقاق ببعض مراد المرادى" و"فوائد أبي إسحاق"، و"تفصيل الدرر"[1].

و"تحرير المقالة في نظائر الرسالة"[2]، و"الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون"، و"شفاء الغليل في حل مقفل مختصر الخليل" في الفروع و"منية الحساب" والتعليل برسوم الإسناد وهي فهرسة ذكر فيها مشايخه مثل الإمام القورى، والأستاذ الصغير وغيرهما[3]، توفي بفاس في التاسع من جمادي الأولى سنة(919 هـ)[4].

4-أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة الهبطي:

هو الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة الهبطي[5] الطنجي، العالم العامل الناصح المخلص، كان آية في من آيات الله تعالى في أرضه وعباده، قائما على قدم الجد في الزهد وإتباع السنة والانزواء عن الدنيا وتعليم العلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يترك أحدا من أهله وبنيه وأصحابه يخرج عن التقشف في الدنيا، ولم ير أحد من الرجال والنساء بزاويته إلا أن يكون تاليا لكتاب الله وذاكرا لأسمائه ومتعلما لمعرفته إلى أن لقي الله تعالى على ذلك[6].

ويعتبر بأنه الأستاذ النحوي الفرضي منسوب إلى بلاد الهبط الصماتي ثم الفاسي، من مؤلفاته تقييد وقف القرآن العزيز توفي بفاس سنة ثلاثين وتسعمائة (930 هـ)[7]، وقد أكثر الشيخ الأخضري من النقل عن شيخه الهبطي الذي يصفه بالأستاذ كما أشرنا سابقا ويبدو

([1])- أبي العباس أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي، **درة الحجال في أسماء الرجال**، تح محمد الأحمدي أبو النور، ط 1، دار التراث، القاهرة، مج 2، ص 147-148.

([2])- يوسف بن حسين خنفر، **العلامة محمد الصغير البسكري حياته وآثاره**، د ط، د دن، جامعة ورقلة، د ت، ص 36.

([3])- إبن القاضي، المرجع السابق، ص 148.أنظر، محمد بن عيسى الحسني الشفشاوني، **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تح محمد حجي**، ط 2، دار الغرب، الرباط، 1977، ص 7، 14.

([4])- خنفر، المرجع السابق، ص 36.

([5])- أولاد الهبطي هم نسبة لبلاد الهبط وهم يقطنون بفاس، عبد الكبير بن هاشم الكتاني، **زهرة الآس في بيوتات أهل فاس**، تح علي بن المنتصر الكتاني، ط 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ج 2، 2012، ص 244-245.

([6])- عبد الله كنون، **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، دط، د د ن، الدار البيضاء، د ت، ج 1، ص ص 251-252.

([7])- ابن القاضي، المرجع السابق، ص 152.

أن الشيخ البسكري قد لازم شيخه الهبطي مدة طويلة ينهل من علمه ويتزود من معارفه، وكما يظهر جليا في شرحه أنه كان يكثر من الأسئلة عليه، ويتحرى ويتثبت في الأخذ[1].

5-عبد الرحمن بن القرون:

هو الشيخ عبد الرحمن بن القرون أحد المرابطين من قرية ليشانة الواقعة بالقرب من مدينة طولقة، استفاد منه الأخضري كثيرا ودرس على يديه توفي 983 بليشانة [2].

6-أبو عمران موسى بن سعيد الزواوي :[3]

هو أبو عمران موسى بن سعيد بن عمر الحافظي[4]العباسي الشهير بالزواوي[5]، ولقد وصفه احمد المنجور في فهرسته بالأستاذ النحوي الصالح[6]، توفي سنة (931 هـ) ولقد تطرق الشيخ البسكري بعض آراء شيخه الزواوي في شرحه من ذلك قوله:«قال الشيخ أبو عمران الزواوي [7].

7-محمد الصغير:

ونذكر بأن أول من قام بتدريس عبد الرحمن الأخضري والده محمد الصغَيّر(بتشديد وضم الصاد وفتح الغين) بن محمد بن علي وهو من كبار الفقهاء[8]، وله عدة تآليف على الحواشي وأيضا في التصوف الذي هاجم فيه الدجاجلة الذين إنحرفوا عن الدين وإتجهوا نحوا الدجل وإتباع الخرافات والابتعاد عن الدين الصحيح، والمعلومات عن ميلاده ووفاته غير موجودة[9].

([1])- نفسه، ص 152.

([2])- سعد الله، المرجع السابق، ج 1، ص 501.

([3])- حسن درويش القويسني، **شرح القويسني على متن السلم في المنطق**، تحقيق محمد العزازي، دار الكتب العلمية، دت ، دم، ص 8-9.

([4])- إدريس الكتاني، المرجع السابق، ج 3، ص 226-227.

([5])- ابن القاضي، المرجع السابق، مج 3، ص 7.

([6])-المنجور، المرجع السابق، ص 60-61.

([7]) نفسه، ص 36.

([8])- تبرماسين، **عبد الرحمن الأخضري حياته وآثاره**، المرجع السابق، ص 34.

([9])- القويسني، المرجع السابق، ص 9.

8-الشيخ زروق:

هو أبو الفضل شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي الشهير بزروق[1]، ولد يوم الخميس 22 محرم 846 هـ الموافق ل: 7 جوان ان 1442م في قرية تليوان، وهو فقيه ومحدث من قبيلة البرانس البربرية التي تعيش في منطقة جبل البرانس ما بين فاس وتازا، ويعتبر والد زروق من أهل الصلاح والولاية في تلك البلاد، ولقد ورث لقب زروق عن جده الذي كان أزرق العينين[2] .

ولقد أخذ العلم عن أئمة من المشرق والمغرب فقد درس الرسالة عن الشيخ علي السطي والشيخ عبد الله الفخار قراءة بحث وتحقيق، ثم قرأ القرآن على يد القوري والزرهوني وغيرهم من الشيوخ الأجلاء ثم إشتغل بالتصوف والتوحيد، وقال عنه ابن غازي (وهو صاحبنا الأود الخلاصة الصفي الفقيه المحدث الفقير الصوفي البرنسي، وبرنس بنون مضمومة بعد الراء نسبة إلى عرب بالمغرب) ومن تآليفه التي تتميز بالاختصار، ولها فوائد عديدة ومفيدة خاصة في التصوف، وكما له شرحان على الرسالة، وشرح على الإرشاد لابن عسكر، وشرح مختصر خليل، وشرح الوغليسية، وغيرها من المؤلفات[3].

كما أخذ عنه العديد من العلماء، وتشير عدة دراسات إلى أن عبد الرحمن الأخضري تتلمذ على يد زروق مستعينين بقول الأخضري في القدسية بقوله: (وفي كتاب شيخنا زروق)، لكن هناك من ينكر ذلك، فيقولون بأنه شيخ شيخه ولكن يصح إطلاقه عليه من باب الحقيقة العرفية[4]، توفي في صفر بتكرين من عمل أي إحدى مقاطعات طرابلس الغرب، بعد أن ترك موروثا كبيرا من المؤلفات[5]، وهناك أساتذة آخرين للعلامة عبد الرحمن

([1])- خنفر، المرجع السابق، ص 48.أنظر، الشفشاوني، المرجع السابق، ص 48.وكذلك، عبد العزيز بنعبد الله، **معلمة التصوف الإسلامي**، ط1، دار المعرفة، الرباط، 2001، ص 88.

([2])- معين عساف، المرجع السابق، ص ص 2-3، ينظر، عبد الله بن أبي زيد القيرواني، **شرح العلامة أحمد بن محمد البرنسي الفاسي على متن الرسالة**، تح أحمد فريد المزيدي، ط 1،دار الكتب العلمي،لبنان،2006،ج 1،ص 5،7.

([3])- ابن مريم التلمساني، المصدر السابق، ص ص 73-74.

([4])- خنفر، المرجع السابق، ص 37.

([5])- عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين**، د ط، مؤسسة الرسالة، دمشق، 1957، ج 1، ص 98.

الأخضري وهم: أبو الطيب وعبد الهادي والفطناسي[1]، وهذا الأخير له تأليف يسمى لوامع البروق في شرح وظيفة الشيخ زروق[2].

وتعتبر المعلومات التي تتناول حياة العلامة الموسوعي عبد الرحمن الأخضري نادرة جدا، وقد ويكون هذا راجع لعدم تدوين الأخضري لحياته، أو قد يكون هذا راجع للتلاميذ الذين درسوا عليه، فكل المعلومات الموجودة شحيحة وغير مؤكدة في بعض الأحيان مثل الأساتذة الذين درس على يدهم، أو أخذ منهم ولا حتى تلاميذه، ورغم هذا نجد المؤلفات التي ألفها الأخضري موجودة للآن، وتدرس في عدة بلدان في المغرب والمشرق، وهذا يعود للقيمة العلمية لها[3].

المبحث الثالث: زواجـــــه وذريتـــــه:

من المسائل الخلافية التي تطرق إليها بعض الذين ترجموا للعلامة الأخضري ورصدوا مسيرته وجهوده العلمية، مسألة زواجه من عدمها والتقصي عن ذريته وأحفاده في حال ثبوت زواجه، فهناك فئة من هؤلاء ترجح أن الأخضري لم يتزوج في حياته قط، خاصة الذين يؤكدون فرضية أنه عاش ثلاثة وثلاثين(33 سنة)فقط ويرى هؤلاء أن الذين يحملون لقب الأخضري اليوم هم أحفاد أحد إخوانه ويقطنون خاصة ببنطيوس والمقران[4].

ولقد ذكر المستشرق لوسياني معتمدا على ما قيل له محليا أن الأخضري لم يتزوج ولم يترك ذرية[5]، ونلاحظ أن عمار طالبي بدوره ينفي تزوجه إذ يقول: "بأنه لم يتزوج ولم يترك أولاد "[6]رغم أن المتتبع لوضع المجتمع الذي عاش فيه عبد الرحمن الأخضري وظروف بيئته الاجتماعية يدرك أن الأهالي كانوا يزوجون أبنائهم في سن المراهقة، وبعد بلوغهم الحلم مباشرة، عاملين بالحديث النبوي الشريف "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء"، فكيف إذن

([1])– ينسب إلى مدينة فطناسة وهي إحدى قرى بسكرة البائدة. صيد، المرجع السابق، ص 36.

([2])– نفسه، ص ص 37–38.

([3])– نفسه، ص 37– 38.

([4])– وهي منطقة قريبة من بنطيوس، تبرماسين، **ديوان عبد الرحمن**، المرجع السابق، ص 50.

([5])– مصمودي، المرجع السابق، ص 30. أنظر الملحق رقم (1)، ص 109.

([6])– طالبي، المرجع السابق، ص 126.

بصاحب الـثلاث وثلاثين(33 عاما) أن يموت أعزبا، وهناك فئة ثانية تؤكد وتدلل على أن الأخضري قد تزوج وترك العديد من الأبناء الذين لم ينقطع نسلهم إلى اليوم، وهم موجودون بالمقران وبنطيوس وبسكرة العاصمة وغيرها، ويحتفظون بوثائق صادرة عن بايات قسنطينة تؤكد انتسابهم للشيخ الأخضري[1].

ونجد أن أحفاده ببنطيوس عملوا على تجديد ضريح جدهم، وإعادة بناء مسجده العامر، الذي تقام فيه الجمعة، كما قاموا بمساعدة أهالي البلدة على تسمية المتوسطة باسمه[2]، ويرى الكاتب عبد الرحمن تبرماسين بأن هناك من يستبعد هذا القول لعدم وجود دليل قطعي يثبت ويؤيد به كلامه[3]، ورغم علمه بأن هناك من يزعم أن من ذريته من يسير زاويته في بنطيوس وجماعة أخرى في المقران وهي قريبة منها لا يفصل بينهما إلا واد، ولكل من الفرقتين قطع أرضية رسمية من باي قسنطينة علي بوستة، منحها لهما وأخرى أعطاها لهما الحاج أحمد باي باشا[4] باي قسنطينة[5]

وتـواريخ هـذه القطـع 1078هـ ، 1103هـ ، 1132هـ ، 1147هـ ، 1149هـ ، وهـذه التواريخ قريبة العهد من تاريخ وفاة الأخضري، ومنح هذه الأراضي تعود بالدرجة الأولى إلى منزلة الأخضري ومكانته العلمية وإلى فضل زاويته، وتعتبر إعانة لأبنائه لمواصلة نهج أبيهم ودعم للزاوية أيضا من أجل بقائها"إذ كانوا يعفون زاويته وعائلته من دفع الضرائب لمقامه الديني"[6]

([1])- نفسه، ص126.

([2])- مصمودي، المرجع السابق، ص ص 30، 31.

([3]) مصمودي، المرجع السابق، ص ص 30، 31.

([4])- هو الحاج أحمد باي حفيد الباي أحمد القلي وإبن الشريف محمد الذي شغل منصب الخليفة في الفترة التركية وهو من أصل تركي وهو كرغلي، وبدأ الحاج أحمد باي يبرز كرجل لامع وكفء منذ سنة 1809م عندما وصل إلى رتبة قائد العواسي ثم تعيينه عام 1818م خليفة للباي، حيث أثبت جدارته في وظيفته الجديدة وهو الأمر الذي دفع الداي حسين إلى توليته بايلك قسنطينة وذلك سنة 1826م، صالح فركوس، **الحاج أحمد باي قسنطينة 1826-1850**، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009، ص ص 19-20، أنظر، أحمد بن المبارك بن العطار، **تاريخ بلد قسنطينة**، تح: عبد الله حماد، ط ج، دار الفائز للطباعة والنشر، قسنطينة، 2011، ص 101.

([5])-تبرماسين، **ديوان عبد الرحمن**، المرجع السابق، ص 50.

([6])-نفسه، ص 50.

ولقد تحصل السيد علي الأخضري بن عباس على وثيقة نادرة وشرعية ورسمية استخرجها من محكمة طولقة (بسكرة)عام 1974م تؤكد زواج العلامة الأخضري واستمرار نسله، حيث جاء في الوثيقة التي دونت عام 1011هـ[1]، اسم لاثنين من أحفاده وهما:أحمد بن يوسف وسيدي عبد العزيز بن، وبالرغم التآكل الذي تعرضت له هذه الوثيقة النفيسة وانطماس بعض من حروفها، إلا أنها بقيت غير واضحة حتى تم تجديدها في الفاتح من محرم 1334هـ الموافق ل نوفمبر 1915م وكان سبب تسجيل هذه الوثيقة وقوع نزاع حول المياه ونقصان منسوب واد كلبي بعدما قام أحد من أبناء ليشانة[2] بحفر بئر دون أن يستأذن القوم فانخفض مستوى الماء[3].

ونذكر بعض ما جاء فيها:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم... وقع نزاع وخصام بين أهالي بنطيوس ومخادمة والمقابلين لهم في الخصام أهل ليشانة على أن الشيخ الميهوب بن الهول سولت له نفسه وحفر بئرا بأعلى واد كلبي[4] من الجانب الغربي فظهر له الماء ونبعت عين هناك فلذا تغيرت ماء بلدة بنطيوس ومخادمة... ووقع بين الفريقين تشنيع الكلام وطول الملام الذي يؤدي إلى الفتنة وسفك الدماء فتكلم من حضر من أهل العقول، فقال ألم تعلموا ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتنة نار ولعن الله من أوقدها، فامتثلوا وأنصتوا لكلامه وسمعوا لمقالته وعلموا ذلك وعلموا ذلك حقا فأقام السيد محمد بن التواتي والسيد عبد القادر بن مغزي والسيد أحمد بن يوسف من أولاد سيدي عبد الرحمن بن صغير وقال أشهدكم يا من حضر بهذا المجلس على الظالم المسلوب وهو الشيخ الميهوب، فإن كانت فينا أهليته أو في أوائلنا بأن لا يبقى له خير ولا أثر ويذهب الله به وبنسلهمن صدورهم فلذا

(1)–أي بعد وفاته بحوالي(28 سنة)هذا اذا كان تاريخ وفاته الحقيقي هو 983هـ، نفسه، ص 50.

(2)–ليشانة إحدى قرى الزاب الظهراني، وهي على مقربة من مدينة طولقة المشهورة، تبرماسين، عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 41.

(3)– مصمودي، المرجع السابق، ص 30 .

(4)– واد كلبي هو وادي يقع بين بنطيوس ومخادمة وليشانة، نفسه، ص 30.

تكلم الشيخ محمد الشكري حضر معهم من الزاب القبلي والظهراوي كالشيخ محمد من أولاد شنوف ومن أهل امليلي الشيخ محمد الصغير من أولاد بلهادي من أولاد أورلال" [1]

ثم تضيف الوثيقة: "ومن ناس بنطيوس عبد القادر بن أحمد من أولاد سيدي محمد بن عثمان وسيدي عبد العزيز بن...من أولاد سيدي عبد الرحمن بن صغير ومحمد بن الهندي وسي العيد عبد الرحمن بن علي والحاج عرامي واحمد بن السهل وسي محمد بن عتيق..."[2].

ولا شك أن هذه الوثيقة التي يمتلكها حفيده[3] السيد علي الأخضري بن عباس[4] ستبدد ظن الذين نفوا الزواج عن الشيخ الأخضري وردوا قول الذين ينسبون أنفسهم إليه، ويعضد هذا الرأي المستشرق الفرنسي دومينيك لوسياني، الذي أكد أن أحفاد الأخضري في بداية القرن العشرين يملكون وثائق رسمية موقعة من طرف باي قسنطينة، من بينها واحدة يرجح تاريخها إلى محرم 1060هـ الموافق ل 1650م التي تؤكد الأخوة :رحمون، عبد المالك، محمد أولاد عامر، أولاد علي بوستة، أولاد سيدي عبد الرحمن الأخضري، ولقد أكد لوسياني على صحة هذه الوثيقة إلى جانب الوثائق التي رآها وتحمل تواريخ 1078هـ، 1103هـ، 1132هـ، 1147هـ، 1246هـ، هذه الاخيرة حسب لوسياني تحمل ختم باي قسنطينة الحاج أحمد باشا[5] .

([1])– مصمودي، المرجع السابق، ص 31. "

([2])– للإطلاع على نص الوثيقة كاملة ينظر الملحق رقم 1، ص110 .

([3])– مصمودي، المرجع السابق، ص ص 31، 32.

([4])– علي الأخضري بن عباس: من مواليد 1946 بنطيوس ببلدية مخادمة ولاية بسكرة حاليا ولقد درس بزاوية جده وحفظ جزءا من القرآن الكريم، إطار بسوناطراك، كما أنه يمتلك بعض كتب عبد الرحمن الاخضري نفسه، ص ص 31، 32.

([5])– عبد الرحمن الاخضري، المرجع السابق، ص ص 31، 32.

المبحث الرابع: أهـــــــم تلاميـــــذه:

إن كل تفوق في مجال ما يجعل من صاحبه قطب يرجع له الكثير من الناس وهذا ما حدث ويحدث مع العلماء، ومن بينهم نجد العلامة الأخضري، حيث لم يكتف الشيخ عبد الرحمن الأخضري بتأليف الكتب ونظم القصائد التعليمية وشرحها وشرح منظومات غيره من العلماء العاملين، وقد استطاع أن يكون العديد من التلاميذ النجباء وأن يصقل مواهبهم العلمية كما أنهم كانوا له سندا وواصلوا رسالته التعليمية وكما يعود الفضل الكبير إليهم في حفظ ونقل آثاره إلينا[1].

لقد كان التعليم في الفترة العثمانية يقوم على جهود الأفراد، والمؤسسات الخيرية التي تتغذى من الأوقاف، فانتشر التعليم في تلك الفترة انتشارا واسعا خصوص(التعليم الأولي)، إذ لم يكن يوجد بها من لا يعرف القراءة والكتابة، أي التعليم الأولي، فنجد أن التدريس الذي يقوم به عبد الرحمن الأخضري كان ابتغاء وجه الله وللزوايا والكتاتيب دور فعال في هذه المهمة[2]، وكذلك لنشر العلم ومحاربة الجهل والفساد والرذيلة فذاع صيته في البلاد وأقبل عليه الناس من كل فج وواد طلبا للعلم واستنارة العقل، وكان نجاح الأخضري في التعليم يعود إلى طريقته الخاصة وهي ناجحة، لأنها لا تعتمد على الحشو والاستطراد بقدر ما كانت تعتمد على التركيز والاختصار وتقديم المعلومات في قالب سهل وممتع وخالي من الإطالة والتعقيد[3].

ولقد أدرك هذا عبد الرحمن الأخضري وهو صغير حينما كان يتلقى العلم على مشائخه، ويخبرنا في درته البيضاء عن قراءته لنظم أبي إسحاق، فيقول[4]: "وكان السبب الذي منعني من قراءة نظم أبي إسحاق ما فيه من الحشو والتطويل بلا فائدة مع ثقل كثير في أبياته"[5].

([1])- مصمودي، المرجع السابق، ص 38.

([2])- فوزية لزغم، **البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي (925-1246هـ/1520-1830م)**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامي"، قسم التاريخ والحضارة ، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2013-2014، ص 62.

([3]) لزغم، المرجع السابق، ص 62.

([4])- تبرماسين، **ديوان عبد الرحمن**، المرجع السابق، ص ص 47، 48

([5])- عبد الله محمد الدرناوي، **شرح الدرة البيضاء**، دط، مطبعة التقدم العلمية، مصر، 1325هـ، ص 141.

فالتعليل، الذي يقدمه منطقي، وهذا ما يلاحظ في منظومته التي تتميز بالتركيز والخفة ومؤدية للمعنى المقصود دون ملل مع سهولة عبارته وحسن سكبه ورشاقة أسلوبه في بسطه لمسائل العلم. ورغم الشهرة التي اكتسبها في فن التدريس وكثرة الإقبال عليه من طرف الراغبين في الاستفادة من علمه، فهناك بعض المصادر النادرة التي تخبرنا عن القليل من المعلومات عن تلاميذه[1].

ونجده قد استقل بتلك المهمة بعد وفاة والده الصغير، الذي كان حيا سنة 941 هـ، كما أننا لا نعلم ما هي المواد التي كان يدرسها، لكنها لا تخرج في الغالب عن العلوم السائدة آنذاك مثل: الفقه والتوحيد والمنطق والتصوف والنحو، ومن بين التلاميذ الذين لدينا بعض المعلومات عنهم هم ثلاثة :[2]

1_العالم أبو فارس:

هو الشيخ أبو فارس عبد العزيز بن أحمد بن مسلم الفارسي وقد اقتدى بمسيرة شيخه واجتهاده في التحصيل العلمي حتى أجاد وتمكن من جميع ما ألف أستاذه العلامة الموسوعي عبد الرحمن الأخضري، وقد بلغ شأنا عظيما بل يمكن اعتباره أشهر تلامذة الأخضري، ومن أهم الشروحات وأشملها،

وقد استعان به العديد من العلماء الذين شرحوا(السراج)[3] فيما بعد، أو ألفوا في علم الفلك كالشيخ سحنون ابن عثمان الراشدي الونشريسي، وقد أشار إليه في العديد من مواضع شرحه (مفيد المحتاج في شرح السراج)[4].

ويعتبر الشيخ أبو فارس هو أول تلميذ درس على يد عبد الرحمن الأخضري، ونجد ذلك في كتاب "العقد الجوهري" دون تحديد البلد الذي ينتسب إليه أبو فارس ولا حتى الاسم الكامل

([1])–تبرماسين، **ديوان عبد الرحمن**، المرجع السابق، ص ص 47، 48.

([2])–صيد، **عبد الرحمن الأخضري**، المرجع السابق، ص 43.

([3])–السراج هو عبارة عن منظومة من البحر الطويل وهي موضوعة لعلم الفلك، ولقد نظمه سنة 939 هـ، وهو في التاسع عشر من عمره وقد قام سحنون بن عثمان الميدوي الونشريسي بشرحه .خليفة حاجي، **كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون**، دار إحياء التراث العربي، دط، تح: رفعت بيلكه الكلسي، مج 2، لبنان، ص 738.أنظر بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 76.

([4]) –مصمودي، المرجع السابق، ص 40.

لـه، لكـن لوسـياني Luciani بـين أنـه مـن فرقـة أولاد فـارس القاطنـة فـي الـزاب الشـرقي مـن بسكرة، أي من المنطقة التي يقطن فيها الأخضري[1].

ولقـد قـام هـذا التلميـذ الـوفي بتخمـيس كامـل قصـيدة شـيخه حـول نبـوة خالـد بـن سـنان العبسي[2]، حيث أبدع هذا التلميذ في هذا العمل شكلا ومعنى إذ أخرج قصيدة أستاذه بشكل مطرب من خلال التخميسات المتبعة، وهي طريقة في الشعر شاعت كثيرا في فن الموشحات التـي تعمـد لإطـراب الـنفس وإمتـاع الـروح كمـا أن التلميـذ أجـاد فـي المعنـى بـأن جعـل عمـل أسـتاذه حيـا خالـدا فـي الأذهـان موضـحا بعـض المعـاني الدقيقـة والقويـة، التـي ترسـم حـدث اكتشاف القبر وظروف ملابسات هذا الأمر، الذي تفرد به العلامة الأخضري [3].

2-العالم التفلفالي:

وهو رجل نسـاخ ينسـخ مؤلفات شـيخه الأخضـري ومكـان إقامتـه تفلفـال إحـدى قـرى ولايـة باتنة[4]، وأما اسمه الحقيقي فهو غير معروف، وهو طالب علم ونساخ مجد في عمله متقن له متحر للوصول إلى الحقيقة نسخ للشيخ الأخضري العديد من مؤلفاته لشرحها على تلاميذه وقد أشار إليه في شرحه على الدرة البيضاء آخر الجزء الثاني [5].

وقـد أرسـل الشـيخ عبـد الـرحمن الأخضـري إلـى تلميـذه التفلفـالي منظومـة (الجـوهر المكنـون)[6] لينسـخها كعادتـه فلـم يـتمكن هـذا التلميـذ مـن قـراءة وتبيـان بعـض الكلمـات والمصطلحات والأبيات الشعرية، فكتب له كتابا يطلب منه جوابا عن بعض ما أشكل عليه في شرحه للمنظومة، وأكد هذه الحقيقة في قوله: "وإنما ذكرت فيها هذا مع وضوحها مما تقدم أن بعض خاصة إخواني وأحبتي في الله كتب إلي كتابا من بلده يسألني فيه عن هذا

([1])- صيد، **عبد الرحمن الأخضري**، المرجع السابق، ص 43.

([2])- الدراجي، المرجع السابق، ص 40-41.

([3])- مصمودي، المرجع السابق، ص 41.

([4])- صيد، **عبد الرحمن الأخضري**، المرجع السابق، ص 44.

([5])- مصمودي، المرجع السابق، ص 39.

([6])- هي عبارة عن مخطوطة في ثمانية عشر(18)صفحة وهي أرجوزة في البلاغة كتبت بالخط المغربي وهو واضح مع وجود تسطير تحت بعض الكلمات، ولقد ألفها عبد الرحمن الأخضري، أحمد حاجي، **متن الجوهر المكنون في الثلاثة فنون**، مجلة الذاكرة، جامعة ورقلة، ع 5، ص 118.

البيت إذ لم يستخرج حروفه"، أي لم يتوصل لتوضيح بعض الأبيات غير المفهومة ولم يذكر الأخضري اسم هذا الطالب في آخر الكتاب[1] .

3-العالم الفرفاري:

يعتبر هذا الشيخ هو أحد تلاميذ عبد الرحمن الأخضري، لكن لا يوجد الاسم الكامل له ولا تاريخ ميلاده ولا وفاته يوجد فقط سوى الكنية، وهي الفرفاري وذلك نسبة إلى المنطقة التي ينتمي إليها وهي قرية فرفار[2]، قال عنه صاحب العقد الجوهري: "وله تلاميذ منهم رجل صالح من بلد فرفار إحدى قرى الزاب"، ولقد قام بشرح"مختصر العبادات"في الفقه المالكي لأستاذه الشيخ عبد الرحمن الأخضري[3].

كما ذهب البعض إلى أن كلا من الشيخ سعيد قدورة والشيخ عبد الكريم الفكون[4] كانا تلميذين لدى العلامة الأخضري وهذا بعيد عن الصواب باعتبار أن الشيخ سعيد قدورة توفي عام 1066م، أي بعد وفاة الشيخ الأخضري بـــ(76سنة) إذا ما اعتبرنا أن الشيخ الأخضري توفي عام 983هـ، أي بعده، فيما ولد العلامة عبد الكريم الفكون عام 988هـ، أي بعد وفاة الأخضري بخمس سنوات وتوفي عام 1073هـ، فالأخضري كان كما يغلب على الظن شيخ شيوخ عبد الكريم الفكون [5].

وينطبق الأمر أيضا على العارف بالله الشيخ العباس أحمد بن محمد زروق الفاسي (946هـ-999هـ/1442م-1493م)، الذي عده البعض خطأ من أساتذة العلامة الأخضري مستدلين على بيت شعري أورده ضمن(القدسية):

وفي كتـــاب شيخنا زروق عجـــائب فائقـــــة تـروق[6]

([1])- مصمودي، المرجع السابق، ص 39.

([2])- فرفار هي بلدة في منطقة الزاب القبلي وتبتعد عن مدينة طولقة بولاية بسكرة بحوالي(04كلم)وتشتهر هذه المنطقة بتمورها، و لقد كانت موطنا للذواودة. صيد، **عبد الرحمن الأخضري**، المرجع السابق، ص 43.

([3])- مصمودي،المرجع السابق، ص 42.

([4])- Ernest Mercier, **Elvation de la Famille El-Feggoun**, constantine, L Arnolet,AD, Brahae, 1879,p34.

([5])- سعد الله، **تاريخ الجزائر**، المرجع السابق، ج 2، ص 151.

([6])- مصمودي، المرجع السابق، ص ص 40، 41.

ويعتبر هذا تشابه كبير مع ما جاء في كتاب أبو القاسم سعد الله، حيث يقول: فالأخضري هو شيخ شيوخ قدورة وكذلك عبد الكريم الفكون، وعلى كل حال فقد عمد قدورة[1] إلى وضع حاشية على السلم المرونق بدأها هكذا(الحمد لله الذي علم الإنسان من حقائق التصورات ما لم يكن يعلم، وأطلعه على دقائق التصديقات الموصلة إلى طريقة الرشد)، وكان قدورة الذي عرفنا أنه كان من علماء الظاهر والباطن يمهد بذلك لإقناع من قد يعترض على التأليف في علم المنطق، فقد برر عمله بأن الأخضري في شرحه على السلم قد أغفل بعض الأمور التي يجب التنبيه عليها[2].

وبكل تواضع قال قدورة: إن عمله لا يعدوا أن يكون مضافا لشرح المصنف للأخضري كالتذييل لما أغفله الناظم في شرحه مظهرا لمقاصده ومستخرجا بعض فوائده، وسار قدورة في شرحه هذا على النهج، الذي سلكه في شروحه الأخرى الفقهية وغيرها في تفسير ألفاظ المتن والاستشهاد لذلك بالقرآن والحديث والأشعار ثم تفسير الألفاظ بلاغيا ونحويا وأخيرا تفسير المعاني المقصودة من وضع التأليف كله وهو ينقل في ذلك عن سابقيه أمثال والمغيلي[3] وسعيد العقباني[4]،

([1])- نور الدين عبد القادر، **صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي**، د ط، دار الحضارة، الجزائر، 2009، ص 196.

([2])- سعد الله، **تاريخ الجزائر**، المرجع السابق، ج 2، ص 151.

([3])-هو محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ولد في مدينة مغيلة التابعة لبلدية ودائرة مغيلة ولاية تيارت حاليا، سنة 831هـ الموافق لـ1427م، وهو ينسب لقبيلة مغيلة، وتلقى دراسته الأولى بتلمسان حيث حفظ القرآن على يد السيد أحمد بن عيسى المغيلي التلمساني المعروف بالجلاب، كما أخذ عنه أمهات الكتب الفقهية كالرسالة ومختصر خليل وبن الحاجب وبعض كتب بن يونس، وتتلمذ على يد يحي بن بدر وتربى على يد أبي العباس الوغليسي فقد أجاد عدة فنون مختلفة فتفقه في مذهب الامام مالك بن انس، وقد ساعده على التحصيل ذكاءه المفرط ونية صالحة ومكارم أخلاق، ولقد نمت في نفسه بذور الصوفية وغذاها أتصاله بالشيخ عبد الرحمن الثعالبي الذي تتلمذ عليه، وزادت المصاهرة بينهما أواصر المودة والقرابة، مبروك مقدم، **الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني**، د ط، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2006، ص 27، ينظر: أمينة أحمد يحي وأمينة أمحمد مسعود، **الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي ودوره في ظهور الحركات الجهادية في غرب إفريقيا**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ إفريقيا، قسم العلوم الانسانية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجيلالي بو نعامة، 2014-2015، ص ص 7-8.وكذلك باجي عبد القادر، **الامام المغيلي عصره وحياته**، دط، وزارة الشؤون الدينية والاوقاف، الجزائر، ج1، 2011، 11 4 -115.

([4])-هو أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني قاضي تلمسان والد الحفيد العقباني، وذكر أن شيخ الاسلام قاسم العقباني أنه توفي سنة ثمانمئة وأربعين 840هـ بتلمسان، ابن مريم التلمساني، المصدر السابق، ص 79.

كما جاء في رحلة ابن زاكور[1]، أن أبا عبد الله بن خليفة له شرح أيضا على سلم الذي ألفه الأخضري[2].

ولقد أصبح عبد الرحمن الأخضري مرجعا مهما للعلماء والطلبة في مختلف أقطار العالم الإسلامي، ولقد تم إدراج بعض منظوماته ضمن المقررات الدراسية في كبار المعاهد العلمية العربية مثل جامع الزيتونة بتونس وجامع القرويين بالمغرب والجامع الأزهر بمصر، ولقد قال عبد الرحمن تبرماسين(ويبدو جليا مما سبق ذكره أن الأخضري كان موسوعة علمية بحق فجمع منه العلم فنونا عديدة فكتب في الفلك والحساب والفقه والتصوف وغير ذلك)[3].

المبحث الخامس: وفاة العلامة عبد الرحمن الأخضري

بعد مشوار طويل مليء بالكفاح والمثابرة في شتى مجالات العلوم، وهذا بعد دأب وصبر على التحصيل العلمي وجهاد ثقافي عظيم وإثراء للمكتبة العربية والإسلامية وتخريج جيش من الطلبة وتصحيح عقائد الناس وتهذيب سلوكهم، انتقل العلامة عبد الرحمن الأخضري إلى رحمة خالقه عندما كان بمصيفه ببلدة كجال[4] التي اعتاد التنقل إليها في فصل الصيف من كل سنة[5].

([1])–**إبن زاكور** هو محمد بن قاسم بن عبد الواحد بن أحمد أبو عبد الله بن زاكور الفاسي، لقبه إبن زاكور وسمي بالفاسي نسبة لمدينة فاس المغربية، ولد بمدينة فاس في نهاية القرن الحادي عشر، حيث لم تحدد سنة ميلاده فهناك من يقول 1060هـ / 1650م، والبعض الآخر يذهب إلى أنها 1075هـ/الموافقة ل 1664م، وإهتمت أسرته بتعليمه منذ نعومة أظافره، فقد أظهر قدراته العقلية ونبوغه المفرط وهما العاملان الذين ساعداه على حفظ القرآن الكريم وبعض المتون العلمية الضرورية كألفية ابن مالك والآجرومية ومنظومة إبن عاشر، وهذا ما أهله لحظور مجالس العلم لبعض الشيوخ الكبار بمدينة فاس، أمثال عبد القادر الفاسي وبدأت بشائر نبوغ ابن زاكور مبكرا إذ وجدناه ينظم الشعر الجيد سنة 1092هـ ويقدم على التأليف سنة 1095هـ، توفي يوم الخميس 20 محرم 1120هـ/1708م.إبن زاكور، **نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان**، ط خ، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 27، 16، ينظر، محمد بن عزوز، **ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة**، ط 1، دار ابن حزم، لبنان، 2010، ص 1267–1267.أنظر عبد الكبير بن هاشم الكتاني، **زهرة الآس في بيوتات أهل فاس**، تح علي بن المنتصر الكتاني، ط 1، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 2002، ج 2، ص ص 381، 374.أنظر، عبد الله كنون، **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، ط 2، د د ن، المغرب، د ت، ص 313.

([2])–سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، المرجع السابق، ج1، ص 501.

([3])–عبد الحليم صيد، **معجم أعلام بسكرة**، د ط، دار النعمان للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014، ص 26.

([4])–كجال تقع بين ولاية سطيف و قسنطينة، أبو القاسم سعد الله، **شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية**، لبنان، 1986، ص 31.

([5])–مصمودي، المرجع السابق، ص 53. أنظر الملحق رقم (2)، ص 110.

ولقد توفي هذا العالم الجليل والمصلح النبيل عام تسعمائة وثلاثة وخمسون 953هـ[1] 1546م، وحتى في تاريخ وفاته هناك عدة اختلافات، فهناك من يذكر التاريخ السابق لوفاته والآخر هو 1575م وهذا بعد عطاء سخي للشيخ عبد الرحمن الأخضري من تأليف للعديد من المصنفات في شتى العلوم والفنون والرحلات العلمية، حيث صال وجال من خلالها من أجل تحصيل العلم وتعليمه ونشره[2] .

وهذا الغموض في تاريخ وفاته قد يعود إلى عدم إطلاع مترجميه على مؤلفاته التي تشكوا من الضياع والتلف، حيث لم يقع بين أيديهم إلا النزر اليسير منها، وهذا الشيء الذي جعلهم يرجحون سنة تسعمائة وثلاثة وخمسون 953هـ و1546م) تاريخا لوفاته اعتمادا على نضجه العلمي المبكر وقلة مؤلفاته، وحتى صاحب العقد الجوهري، الذي كان ملما إلماما كبيرا ومطلعا على عدة مؤلفات له ورسائله، واتصل بعدة رواة ثقاة "قد أمرني من لا تسعني مخالفته، أن أجعل له كتابا كالترجمة تتضمن تاريخ ولادة العالم الأخضري، وأوضح تاريخ وفاته"، فهو لم يهتد إلى تاريخ وفاته الصحيح[3].

أما أبو القاسم سعد الله، فيبدوا أنه قد أدرك هذا الخطأ، فأعطى تعليلا غير دقيق، لأنه اعتمد على الاحتمالات، فقال[4]:"جاء في مقالة للشيخ المهدي البوعبدلي أن الأخضري لم يعمر طويلا ومات حوالي 953هـ، وهو من مواليد سنة 920هـ هذا حسب ما أجمع عليه مترجمو الأخضري، وفي هذه السنوات الأخيرة اكتشف أحد أفاضل علماء الزاب وثيقة تدل على أنه توفي سنة إحدى وثمانين وتسعمائة(981هـ)، إذ عثر على تأليف له نظم فيه الأجرومية قال في ختامه[5]:

تم بحمد الله ما قصدنا ... من نظم هذه التي أردنا
سميتها بالدرة البهية ... فهي لما في أصلها محوية
وكان في محرم الحرام ... بدءا وختمنا لذا النظام

([1])-عبد الرحمن بن صغير الأخضري، **الجوهر المكنون**، تح محمد بن عبد العزيز نصيف،د ط،مركز البصائر للبحث العلمي، د ت، ص 11.

([2])-موسى صاري، **عبد الرحمن الأخضري العابد الزاهد 1575/1514م**، دط، إبتكار للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 16.

([3])-تبرماسين، **ديوان عبد الرحمن**، المرجع السابق، ص 42.

([4])-سعد الله، **تاريخ الجزائر**، المرجع السابق، ج 1، ص 508.

([5])-المهدي البوعبدلي، "**عبد الرحمن الأخضري وأطوار السلفية في الجزائر**"، مجلة الأصالة، ع53، الجزائر، ص 25.

في عام إحدى وثمـانين سنة من بعد تسع مئة مستحسنـة[1]

ويعتبر هذا الاستدلال ضعيف، لأن البيت قد يكون فيه تصحيح من النساخ بقراءة إحدى وثلاثين، وهذا التأويل يجعل أبو القاسم سعد الله يقع في تناقض، إذ يقول في مقام آخر (إن نضجه العلمي لا يمكن أن يتحقق إلا إذا كان الأخضري قد تقدم في السن) ورغم هذا فإنه يقف إلى جانب من يرجحون سنة 953هـ تاريخا لوفاته[2] .

لكننا نجد أن عبد القادر نور الدين يؤكد على تاريخ 953هـ/ 1546م وعمره 33 سنة عندما توفي، ورغم كل هذا تبقى المتون التي ألفها العلامة عبد الرحمن الأخضري تحدث صدى في العديد من الدول، حيث بفضل متونه التي تُدْرس وتُدَرس إلى الآن نمت عقول وتنورت بنور الشريعة الإسلامية الصحيحة ،[3]ونجد أيضا في كتاب الزركلي أن الوفاة في 983هـ/1544م[4]، وهذا مع وجود اختلاف في السنة الميلادية لكل منهما، حيث يحدد الأول بأنه عاش حوالي 32سنة والثاني يقول 33 سنة، ونجد عبد الرحمن تبرماسين يقول بأن عنده مخطوطتين لمنظومة الدرة البهية وهي نظم للأجرومية:

الأولى لدى الشيخ عبد المجيد حبة، والثانية عند الباحث أحمد بن السائح، وهي أقدم من الأولى تؤكد ما أورده الشيخان المهدي البوعبدلي، وعبد الرحمن الجيلالي جاء فيها على الخصوص:

تـــم بحمد الله ما قصـــدنا من نظـــم هذه التي أردنـــا
سميتهـــــــا بالدرة البهيـــة فهي لمـا في أصلها محويـــة
وكان في محـــــرم الحـــرام بدءا وختمـــا لذا النظـــــام
في عام إحدى وثمانين سنـــة من بعد تسع مئة مستحسنـــة[5]

وكذلك ما جاء في خاتمة شرح الجوهر المكنون:

تم بشهر الحجة الميمــون متم نصف عاشر القـــرون[6]

([1])–تبرماسين، **ديوان عبد الرحمن**، المرجع السابق، ص 42.

([2])–نفسه، ص 42.

([3])– نور الدين، المرجع السابق، ص 211.

([4])– طالبي، **عبد الرحمن**، المرجع السابق، ص 126.

([5])– تبرماسين، **ديوان عبد الرحمن**، المرجع السابق، ص 43.

([6])– نفسه، ص 43.

فمتم نصف الشهر عاشر القرون وهي نهاية آخر سنة من الخمسين كما جاء في شرحه؟ لنفس البيت "ونصف القرن هو آخر عام خمسين"، مع العلم أن الجوهر المكنون انتهى منه سنة تسعمائة وثلاثة وخمسون(953هـ)، اعتمادا على النصوص الموجودة وعلى ما تحتويه من معلومات عن هذا الموضوع أوردها في تاريخ الجزائر العام بأنه توفي سنة تسعمائة واثنان وثمانون هجري (982 هـ/1574م)[1].

والبغدادي في كتابه [2] والزركلي في كتاب الأعلام، وسليمان الصيد في كتابه صالح بن مهنا القسنطيني[3]، كلهم أكدوا أنه توفي سنة تسعمائة وثلاثة وثمانون (983هـ) الموافق لـــ(1575م) في كجال قرب سطيف[4].

ولقد أوصى عبد الرحمن الأخضري تلاميذه قبل مرضه إن حضره الموت بأن يرفعوه إلى بلده بنطيوس إحدى قرى الزاب، ويدفنوه بزاوية جده سيدي محمد عامر، الذي أحدثها ببنطيوس[5]، وقيل أنه دفن بكجال، ثم نقل جثمانه إلى بنطيوس ودفن بقرب والده[6].

([1])- عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ط 2، دار مكتبة الحياة، بيروت، ج 3، 1965، ص86.

([2])-أبو إسحاق إبراهيم البغدادي، **هدية العارفين**، د ط، د د ن، د م، د ت، ص 546.

([3])-صالح بن مهنا(1854-1913م)من أوائل المصلحين الجزائريين الذين تعلموا في تونس ومصر، ولد في نواحي القل نشأ بقسنطينة وتعلم بها وبتونس، رحل إلى القاهرة طلبا للعلم وأخذ عن كبار علمائها ثم عاد وجلس للتدريس بقسنطينة، وكان من رواد الحركة الاصلاحية. خير الدين شترة، **الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة(1900-1956م)**، د ط، دار البصائر، ط خ، ج 1، الجزائر، 2009، ص66، ينظر عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر**، دار الأبحاث للنشر، ط1، الجزائر، 2013، ص 501.

([4])-تبرماسين، **ديوان عبد الرحمن**، المرجع السابق، ص ص 43، 42.

([5])-وقيل لما حضره الموت رفعه تلاميذه حفظا لتلك الوصية مع شيخهم وساروا به مدة م يومهم حينئذ رجع بعضهم مستغنيا بالبعض الآخر أما الذي سار به وصل إلى الزاوية في ذلك اليوم وإجتمعت على الشيخ أناس كثيرة من كل ناحية وصلوا عليه ودفنوه جوار والده وشقيقه وجده، نفسه، ص ص 42، 43.

([6])-عبد القادر صحراوي، **الأولياء والتصوف في الجزائر خلال العهد العثماني**(1520-1830م)، دار هومة، د ط، الجزائر، 2016، ص 180.

الفصل الثاني: الرحلة في حياة العلامة عبد الرحمن الأخضري.

التعريف بالرحلة

الرحلات الداخلية والخارجية للأخضري

نظرة بعض رحالة المغرب الإسلامي للأخضري

المبحث الأول: التعريف بالرحلة :

الرحلة هي فن من فنون القول الأدبي يتضمن الحديث في مختلف مظاهر الحياة فعند الاطلاع على كتب الرحالين العربي نجد بأنها هي عملية اجتماع فنون وعلوم عديدة في هذا الفن الرحلي مثل، التاريخ والجغرافيا والأدب والدين والفقه وغيرها من العلوم الأخرى فالرحلة سجل ثري لهذه العلوم ومنبع خصب لمختلف مظاهر الحياة، فالرحالة الذي يقوم بالرحلة يسمع ويشاهد ويحفظ ويختبر ويحاور ويفكر ويسأل ويجيب ويسأل ويجاب ويعطي ويجازى وأيضا يكتب ويسجل ويوثق كل ذلك في رحلته ومن عنده تستلهم المعرفة والحقيقة[1].

أولا-تعريف الرحلة لغويا:

الرحلة حركة انتقال لشخص من مكان إلى مكان آخر، وهذا هو المعنى اللغوي للكلمة ففي معجم مقاييس اللغة لابن فارس، رحل: الراء والحاء واللام أصْل واحد يدل على مضي في سفر، يقال رَحَلَ يَرْحل رِحْلةَ، وجمل رحِيل: ذو رحلة، والرحلة: الارتحال فأما الرحل في قولك:هذا رَحْلُ الرجل، لمنزله ومأواهْ، فهو من هذا، لأن ذلك إنما يقال في السفر لأسبابه التي إذا سافر كانت معه، ويرحل بها عند النزول هذا هو الأصل ورحله إذا أظعنه من مكانه[2].

ويقول ابن خلدون في تعريفه للرحلة :[3] "الرحلة هي طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل: تارة علماً وتعليماً وإلقاءً، وتارة محاكاة وتلقيناً بالمباشرة إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاما وأقوى رسوخا، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها، والاصطلاحات أيضا في تعليم العلوم المختلفة للمتعلم، حتى يظن الكثير منهم أنها جزء من العلم، ولا يدفع عنه ذلك إلا مباشرته لاختلاف الطرق فيها من المعلمين، فلقاء أهل العلوم وتعدد المشايخ يفيده تمييز الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها، فيجرد العلم

([1])-جميلة روباش، **أدب الرحلة في المغرب العربي**، مذكرة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الأدب الجزائري القديم، قسم الآداب واللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2014-2015، ص 7-8.

(2)-نفسه.

([2])-عبد القادر جلول دواجي، "**أعلام أدب الرحلات المغاربية** "، مجلة تاريخ العلوم، الجزائر، ع 6، 2017، ص 176.

([3])-نفسه، ص 176.

عنها ويعلم أنها تعليم وطرق توصيل، وتنهض قواه إلى الرسوخ والاستحكام في الملكات، ويصحح معارفه ويميزها عن سواها مع تقوية ملكته بالمباشرة والتقين وكثرتهما من المشيخة عند تعددهم وتنوعهم، وهذا لمن يسر الله عليه طرق العلم والهداية، فالرحلة لابد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرحال [1].

وعند ابن منظور هي: رحل الرجل، إذا سار، ورحل رُحُول، وقوم رحل، أي يرتحلون كثيرا، ورجل رحال: عالم بذلك ومجيد له، والترحل والارتحال: الانتقال، والرحلة: اسم للارتحال، وقال بعضهم: الرحلة، الارتحال، والرحلة بالضم، الوجه الذي تأخذ فيه وتريده، وفي القاموس المحيط: ارتحل البعير أي سار ومضى، والقوم عن المكان انتقلوا كإرتحلوا والإسم: الرحلة بالضم والكسر، أو بالكسر، الارتحال وبالضم الوجه الذي تقصد والسفرة الواحدة[2].

وتكاد تكون المعاجم الأخرى تكرر المعاني نفسها في تعريف هذا المصطلح، فلم يدع الإسلام وسيلة من الوسائل التي تفيد الإنسان إلا وحثه على فعلها ومنها الرحلة سواء أكانت للعلم أو الهجرة بالدين من أرض إلى أرض بقصد أداء فريضة دينية أو تجارية، وهذا المعنى أشار إليه القرآن الكريم في رحلتي الشتاء والصيف اللتين كانت قريش تقوم بهما من أجل التجارة وهذا في [3] قوله تعالى :{لإيلاف قريْشٍ، إيلافهم رحْلة الشتاء والصَيْف}[4].

وبهذا تكون كل معاجم اللغة تجمع أو تتفق على أن الرحلة هي انتقال من مكان إلى آخر، وبهذا المعنى يكون العديد من البشر قديما وحديثا قد أنجزوا رحلات لا تعد ولا تحصى، لأن الحركة والتنقل من مقتضيات الحياة وطبيعة البشر، إذ هناك العديد من الرحالة قاموا برحلات، لكن لم تدون في مؤلفات [5].

([1])–أبي الحسن أحمد، بن فارس بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، تح: عبد السلام محمد هارون، ط 2، دار الفكر، سوريا، د ت، ج 2، ص 497.

([2])–أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم إبن منظور، **لسان العرب**، ط 1، دار صادر، لبنان، د ت، ج 11، ص 265.

([3])–عواطف محمد يوسف نواب، **الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين**، مذكرة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي، قسم الشريعة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ص ص 17،21.

([4])– سورة قريش، الآية 01–02.

([5])–دواجي المرجع السابق، ص 174.

ثانيا-التعريف الاصطلاحي:

تعددت مفاهيم الرحلة اصطلاحا، إلا أنها تصب كلها في قالب واحد وهو: "الرحلة هي كتابة يحكي فيها الرحالة أحداث سفره وما شاهده وعاشه، مازجا ذلك بانطباعاته الذاتية حول المرتحل إليهم، وإنجاز الرحلة، أي كتابتها ويتطلب ذلك أن يكون الرحالة ذا مستوى ثقافي معين يؤهله لنقل أحداث سفره إلى كتابة، والرحلة بهذا المعنى[1] تكون واقعية عاشها بكل أوصافها بعكس الرحلات الخالية التي هي عبارة عن وهم أو خيال الكاتب[2].

وهناك من يعتبر الرحلة "بأنها مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباع المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض البعض فيها لوصف ما يراه من عادات وأخلاق وتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها أو يسرد مراحل رحلته مرحلة أو يجمع بين كل هذا في آن واحد" [3].

ومن هنا يفرض أحيانا على بعض الرحالة أن يتركوا عائلاتهم وحياتهم الخاصة وحتى بلدانهم قصد تحقيق مرادهم، حيث عرف الإنسان الترحال منذ القدم، فقد قيل ولد الإنسان "راحلاً" وذلك لما استدعته الحاجة للبحث عن الظروف المعيشية الملائمة والمناسبة له، والبعض الآخر يقول بأن الرحلة يجب أن تتماشى مع الخطاب الرحلي أي مع تدوينها[4].

ولقد استطاع أن يفكر في جوانب أخرى لتلك الرحلات التي كان يقوم بها، فقد أضحى متطلعا إلى اكتشاف المجهول وما تحمله من أماكن خيرات وكنوز والرغبة في معرفة ما في العالم من عادات وتقاليد وأخلاق ونشير، إلى أن الرحلة تنبعث من الوصف الطريف للواقع والسرد الدقيق للمغامرة الإنسانية وكذلك العواطف المحركة للبشر، والتي تنبع من أنواع الشخصيات التي تبرزها إذ أصبحت الحلقة التي عملت على اكتشاف الذات واختراق الحواجز بين مختلف الشعوب والأقوام، فهي سر وحدة الناس وخاصة في زمن انعدمت فيه وسائل التواصل[5].

([1])-روباش، المرجع السابق، 8.

([2])-سعيد يقطين، **السرد العربي مفاهيم وتجليات**، ط 1،دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006، ص 200.

([3])-مجدي وهبة وكمال المهندس، **معجم المصطلحات الأدبية في اللغة والأدب**، ط 2، مكتبة لبنان، لبنان، 1984، ص 17.

([4])-روباش، المرجع السابق، ص9.

([5])-نفسه.

وهناك من يقول بأن الرحلة ليست نصا تاريخيا فحسب، بل هي نص أدبي كذلك، فيسميها أسلوب أدبي رصين وأيضا هي عبارة عذبة مسبوكة بحذق، فهي في نفس الوقت مصدر لنصوص نثرية وشعرية، يمكن أن يكون بعضها الشاهد الوحيد عليها، لانطماس أثرها واندثار أصولها، وهي تحتوي على العديد من النوادر، وقد تعد ديوانا للمغاربة في مختلف أغراض الشعر، ومن هنا فإن الرحلة تعتبر إثراء لمعاجم البقاع والأمكنة، إذ فيها من أسماء البقاع والقرى المندثرة ما لا نجده في كتب المعاجم الجغرافية[1].

إن الرحلات لها أهداف متعددة، فمنها الرحلة الاستطلاعية أو للسفر أو إلى الحجاز لأداء مناسك الحج، يقول–الرسول صلى الله عليه وسلم–: "لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجد الرسول والمسجد الأقصى "[2]، وكذلك قوله تعالى:﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق﴾[3]، وأيضا قوله تعالى: ﴿التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون﴾[4].

أما الرحلات العلمية نحو مختلف الحواضر ومراكز التعليم، ورغم تنوع منطلقاتها واختلاف وجهاتها، فقد كان الدارس إذا ما أتم تعليمه في بلاده سافر بعيدا ويغترب طويلا وينزل بإحدى عواصم العالم العربي، ويجالس من اشتهر من علماء العصر، ويحضر دروسهم ويسعى إلى إجازاتهم[5].

فالرحالة يقيد ما حدث ويلخص ما اقتطف، وتصبح هذه التقاييد كتاب يعرف فيما بعد بالرحلة في طلب العلم، وهذا ما فعله العديد من الرحالة كابن زاكور، الذي قضى شهورا في مدينة الجزائر العاصمة يأخذ من علمائها ويتضلع في الفقه والمنطق والتوحيد، فصوّر هذه

([1])–أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي، **الرحلة الناصرية 1710–1710م** ، عبد الحفيظ ملوكي، ط 1، دار السويدي للنشر، الإمارات العربية المتحدة، 2011، ص ص 37.

([2])–مولاي بالحميسي، **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، د ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 11.

([3])–سورة العنكبوت، الآية 12.

([4])–سورة التوبة، الآية 112.

([5])–بالحميسي، المرجع السابق، ص 12.

الإقامة الدراسية في كتاب سماه "نشر أزاهير البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان" [1].

والرحلة العلمية وإن كانت غايتها وصف البلدان والمجتمع، فإنها تفننت في الحديث عن الحياة الفكرية والنشاط الثقافي، ويعتبر ما حمله الطلبة والرحالة بعد عودتهم كنز ثمين، وللحفاظ عليه قاموا بترسيخه من خلال حلقات التدريس والتدوين في الكتب[2]، وقد أضحت هذه الكتابات "دليلا لمن ينوي السفر مرشدا لمن يحذر الخطر "وكانت بسكرة ومنطقة الزيبان قاطبة مقصدا لهؤلاء الرحالة، الذين كانوا يلبثون فيها الأيام والأسابيع الطوال، لاسيما في العهد التركي بالجزائر، حيث كانت بسكرة وما جاورها من بلدات ومداشر وقرى تابعة لبايلك الشرق وعاصمته آنذاك قسنطينة، وهذا منذ دخول الأتراك إلى بسكرة عام 1541 م في عهد العلامة عبد الرحمن الأخضري [3] .

ويقول أبو القاسم سعد الله"ومن المدن التي كثر ذكرها في العهد العثماني في كتابات الرحالة لعلمها أو لموقعها: الخنقة وتقرت وميزاب ووادي سوف وورقلة وعين ماضي، وكلها في الواقع صحراوية، فقد اشتهرت بسكرة ونواحيها المعروفة بالزيبان بجامع سيدي عقبة التاريخي وبضريح "خالد بن سنان العبسي"، الذي كانت تقصده الناس من جميع أنحاء إفريقية حسب تعبير الدرعي، وخلوة عبد الرحمن الأخضري [4]، وكذلك جامع أولاد جلال[5] .

([1])– بالحميسي، المرجع السابق، ص 12.

([2])–عبد الرزاق عطلاوي، **إسهامات البعثات العلمية في النهضة العلمية والفكرية الجزائرية(1900–1954)**، ع 9، أعمال المؤتمر الدولي التاسع، الجزائر، 18–19 أوت 2015، ص ص 11–12.

([3])عطلاوي، مرجع سابق، ص.12.

([4])–سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، المرجع السابق، ج 1، ص 179.

([5])–تقع مدينة ولاد جلال على مسافة 100كلم غربي مدينة بسكرة، ولا توجد معلومات عن تاريخ إنشاء جامع اولاد جلال ولكن هناك من قال أنه تأسس في حوالي القرن 9ه/15م.عبد العزيز شهبي، **مساجد أثرية في منطقتي الزاب ووادي ريغ**، بحث مقدم لنيل دكتوراه الحلقة الثالثة في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر،1984–1985،،ص 30.

المبحث الثاني: الرحلات الداخلية والخارجية لعبد الرحمن الأخضري:

أولا: الرحلات الداخلية:

كانت أولى رحلات الأخضري العلمية إلى قسنطينة التي تعد قطب علمي هام كان مقصد كل العلماء في ذاك الوقت حيث أخذ دروسا على شيخه عمر بن محمد الوزان[1]، دون أن نتمكن من تحديد الفترة الزمنية التي رحل فيها إلى قسنطينة طلبا للعلم، وهل هي قبل أو بعد الرحلة التي قام بها، وذكر ذلك في خاتمة شرحه لصغرى السنوسي، أي أنه من تلاميذ الشيخ الإمام سيدي عمر الوزان ونجده عند أداء مناسك الحج مر عبر بلاد الزاب، وتلقن على يد زروق مبادئ وأوراد الطريقة الشاذلية للشيخ الأخضري أثناء مروره بالزاب، فأخذ الأخضري عنه الورد[2].

ومن رحلاته الداخلية أيضا نجد أنه تنقل إلى عدة مناطق جبلية خاصة القريبة من بلدته[3] كجبل أحمر خدوا[4]، حيث يقطن أخواله بالقرب من زاوية بن الأعلى(بلعلى)، وكان يتخذ من هذه الجبال خلوة لما فيها من سكينة وهدوء وهواء نقي، يساعد على التأمل والتأليف وإلى عهد قريب كانت هذه الجبال موطن العديد من المتصوفة والمتعبدين، الذين يلتزمون الخلوة ويبتعدون عن مشاكل الحياة اليومية، وكانت هذه الخلوة في هذه الجبال هي العامل المساعد له في كتابته لكتابه "الدرة البيضاء" التي سرقت منه حسبما ذكر، فقال:"أبتلينا في المقران بالطائفة التي عليها لعنة الله فسلبوه(شرح الحساب)مع شيء من الكتب، فصرفتنا صوارف الإقرار بعد ذلك عن الإعادة حتى رده الله تبارك وتعالى بفضله، مع شيء من الكتب بسبب مصادفة بعض الإخوان في تلك المنطقة جزاهم الله خيرا، فدعاني الكثير من الإخوان إلى إتمامه، بشرح الفقه، فلم يتيسر لي إلا في بعض زوايا الجبال عمرها الله وزكاها "[5].

([1])–توفي عام 1558م ولقد شرح صغرى السنوسي في التوحيد، المنجور، المرجع السابق، ص 31.

([2])–**الورد:** تسمية مجازية لحزب من القرآن، أو بالأحرى هو مقدار معلوم من قراءة القرآن الكريم يداوم الشخص على قراءته في أوقات معينة، ثم أصبحت هذه التسمية تطلق على قدر من الأدعية التي يدعوا بها الصوفيون في أوقات محددة، الدراجي، المرجع السابق، ص 25.

([3])–مصمودي، المرجع السابق، ص 35.

([4])–هي جزء من سلسلة جبال الأوراس المشرفة على الصحراء، تبرماسين، **ديوان عبد الرحمن**، المرجع السابق، ص 46.

([5])–تبرماسين، **عبد الرحمن الأخضري**، المرجع السابق، ص 41.

ويقصد بالإخوان تلاميذه وبالجبال جبال تفلفال، ولم تكن رحلاته نحو هذه المنطقة فقط، بل كان يذهب أيضا إلى منطقة الهضاب العليا(سطيف ونواحيها) في فصل الصيف، حيث يكون الجو النقي والهواء المنعش والبرودة المثلجة للنفس صيفا، فكان كثير التردد على هذه المناطق طلبا للإبتراد من حرارة شمس الصحراء المحرقة، ولقد أدركته المنية في هذه المنطقة في إحدى مصايف كجال[1].

ثانيا-الرحلات الخارجية لعبد الرحمن الأخضري:

رحل الشيخ الأخضري إلى تونس وبالضبط إلى جامع الزيتونة المعمور، والذي كانت تشد إليه رحال طلبة العلم، وخاصة من المغرب الأوسط، فالقرب الجغرافي والترابط التاريخي والاجتماعي بين تونس وشرق الجزائر، وخضوع هذا الجزء في بعض العصور التاريخية للدول التي تظهر بتونس كالأغلبية والحفصية، فقد كان الكثير من أبناء الجزائر عموما وشرقها بالخصوص يشدون الرحال شطر جامع الزيتونة، لينهلوا من معين علمائه ويحتكوا بهم حتى يزدادوا تبحرا بالعلوم[2].

ولقد تلقى الأخضري تشجيعا لهذه الرحلة من طرف والده الشيخ محمد الصغير لكي ينمي تعليمه ويطوره بتلقي المزيد من العلوم في شتى المجالات كالحديث والفقه والتفسير والحساب وغيرها من العلوم التي كانت تدرس في ذاك القطب، الذي تتوافد عليه العديد من الطبقات الطلابية من المشرق والمغرب، فلبث عبد الرحمن الأخضري [3] في تونس لتلقي العلم واكتساب علوم أخرى، فهذا كان مطلب كل باحث، وكان للرحلات التي قام بها السابقون دور فعال لكي يستزيد منهم ومن علومهم[4].

فالأخضري درس في جامع الزيتونة مدة زمنية لكنها غير معروفة، فلا توجد معلومات تؤكد أصلا سفره إلى تونس وتلقيه العلم على يد مشايخه، وهناك روايات تقول بأنه قد حاز من علم علماء هذا الصرح الفكري قسطا وافرًا من مبادئ الشريعة الإسلامية ومقاصدها السامية وعلوم اللغة العربية في نحوها وصرفها وفكر التصوف المنهجي حتى سمت نفسه واستنار فكره ورضي

(1)- طالبي، المرجع السابق، ص 137.

(2)-صاري، المرجع السابق، ص 7.

(3)-مصمودي، المرجع السابق، ص 27.

(4)-نفسه، ص 27.

علماء جامع الزيتونة على معارف الأخضري الطالب المجتهد الخلوق، وتفرسوا فيه مستقبلا مثمرا له في عالم الإصلاح والعلم[1]، وقيل أنه درس على يد علمائها هناك مثل قاسم العقباني[2].

فتفتحت آفاقه، ويقال أنه تلقى العلم على يد أبي يحي بن عقبة في مدينة قفصة، وأخذ أيضا عن أبي عبد الله القلحاني، أو كما قال البعض القلجاني، ثم عن ولده عمر وكذلك عن قاسم العقباني، الذي كان يصفه بالاجتهاد المطلق، وأنه لا يفتي إلا بمذهب"مالك[3]، وهكذا بعد كل هذا التلقي أصبح عبد الرحمن الأخضري عالما من أعلام الفقه واللغة والبيان، وهو من أشهر الكتاب أطبقت شهرته الآفاق وغدت مؤلفاته تدرس في شتى حواضر العلم والمعرفة من المشرق إلى المغرب، وتميز بالزهد والورع، فكان أسلوبه يتميز بالجودة في المعاني والبعد في مراميه، أي مقاصده، ومن علامات زهده أنه كان يقضي معظم وقته بين التدريس والتعبد في خلوته سواء في بنطيوس أو في المناطق المجاورة كزاوية كجال[4].

وهناك من قال بأنه درس بالمغرب الأقصى وبالضبط في مدينة فاس حاضرة العلم آنذاك، فهي لا تقل شأنا عن الحواضر الأخرى، كجامع الزيتونة بتونس والأزهر بمصر، فقد كانت تزخر بعدة علماء أجلاء، فأخذ عنهم وجالسهم، وهذا كان له الأثر البالغ في تكوين شخصيته

([1])–صيد، المرجع السابق، ص 46.

([2])– توفي سنة 840 بتلمسان ، ينظر: ابن مريم التلمساني، المصدر السابق، ص 79.

([3])–هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي الحميري المدني، وأمه العالية بنت شريك بن عبد الرحمن بن شريك الأزدية، وقبيلتها أزد من أشهر القبائل العربية القحطانية، وجده هو مالك بن أبي عامر الأصبحي الحميري فقد كان جده من كبار العلماء والتابعين وكان ممن كتب المصاحف حين تم جمعها في عهد الخليفة عثمان بن ابي عفان، ويعتبر مالك بن انس فقيها مسلما ومحدثا وثاني الأئمة الأربعة، ولقد أشتهر بالصبر والذكاء والوقار والهيبة، ولقد إختلف العلماء في سنة ميلاده فهناك من يقول بأنه ولد في سنة 90هـ وقيل أيضا في سنة 93و94و95و96و98، ولكن الأكثرية ذهبوا إلى أنه ولد سنة 93هـ، ولقد ذكرت بعض الكتب رواية عن ميلاده فقالوا أن أمه حملت به ثلاث سنين، وقيل إنها حملت به سنتين، والمشهور عندهم أنها حملت به ثلاثا، ويظهر أن أساس هذا الخبر هو ما رواه الواقدي، فقد قال سمعت مالك بن أنس يقول: قد يكون الحمل ثلاث سنين، وقد حمل ببعض الناس ثلاث سنين يعني نفسه، ولقد ولد المدينة ورأى آثار الصحابة والتابعين كما يعود نسبه إلى قبيلة يمنية وهي ذو إصبح، ينظر: محمد أبو زهرة، **مالك حياته وعصره–آراؤه وفقهه**، ط 2، دار الفكر العربي، 1946، ص ص 24، 26، ينظر: محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، تح: عبد المجيد، ط 1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2002، ص 689.

([4])– نفسه، ص 27.

العلمية المميزة، وبعد هذا التلقي والسفر إلى عدة مناطق قريبة وبعيدة وأخذ معلومات كافية أهلته لكي يخرج هذا المخزون، الذي تلقاه علنه تلاميذه[1].

المبحث الثالث: نظرة بعض رحالة المغرب الإسلامي للأخضري:

تشترك مجتمعات المغرب الإسلامي في مجموعة من الموروثات الحضارية ولعل أبرز هذه الموروثات تجانس شعوبها في العادات والتقاليد والسمات اللغوية والثقافية، ووحدة الفكر الديني والعقائدي لأفرادها بالإضافة إلى التقارب الجغرافي المتصل اتصالا طبيعيا، فهذه القواسم المشتركة زادت من انتعاش التواصل الثقافي والمعرفي بينها وتعتبر أبرز تلك التفاعلات وآلياتها كتب الرحالة الذين نبغوا في طرح شهاداتهم التي هي مصدر صادق لما شاهدوه وعايشوه في خضم تلك الرحلات، فقد كانت الرحلات عبارة عن ناقل لذلك التواصل الثقافي والفكري والصوفي بينهم[2].

ومن هذا المنطلق كانت كتب الرحلات مرآة صادقة تعبر عن صورة تلك الأواصر، ومن ذلك زيارات العلماء والأولياء من مشايخ الصوفية وعلماء الدين الأحياء منهم والأموات، حيث تحظى المزارات بتقدير وحتى تقديس الرحالة، فخصوهم بالزيارة والتبرك مشيدين بكراماتهم وأعمالهم، فقد قال العلامة ابن قنفد القسنطيني[3] صاحب كتاب (أنس الفقير وعز الحقير)"إن أرض المغرب هي الأرض التي نبتت الصالحين كما نبتت الكلأ "[4].

وهو بهذا الكلام يشير إلى ظاهرة الصلحاء والأولياء في المجتمع المغاربي في زمنه، فقد شاعت زيارة الأضرحة وعمت في سائر الرحلات فمن خلال هذه الرحلات ظهرت عدة أضرحة

([1])– قاسم مخلوف، المصدر السابق،27.

([2])– قاسم مخلوف، المصدر السابق،27.

([3])–هو أبو العباس أحمد بن حسن بن علي ابن الخطيب القسنطيني المشهور بإبن قنفد، ولد في عائلة علم وصلاح بقسنطينة سنة 740هـ/1340م،وكان والده وجده من خطبائها كما أن جده لأمه يوسف الملاري المتوفي سنة 764هـ،كان من مشاهير الصوفية والمربين الروحيين ولقد كان له أثر على حفيده العباس ،ونجد أن ابن قنفد قد بدأ دراسته على والده وجده لأمه وبعد ذلك توجه إلى فاس للأخذ عن علماء جامعتها الشهيرة وكان عمره حوالي تسعة عشر(19) سنة، ومن مؤلفاته "أنس الفقير وعز الحقير"ولقد بقي في المغرب لمدة عشرين سنة ،وتوفي سنة 809 أو 810هـ.أبي العباس أحمد الخطيب ابن قنفد،**أنس الفقير وعز الحقير**، تح: محمد الفاسي وأدولف فور،مطبعة أكدال،الرباط،1965،ص 8.

([4])–عمر بن قايد وبوسليم صالح، **الأضرحة والمزارات في الجزائر العثمانية من خلال كتب الرحلات المغربية**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ورقلة، ع 21، ديسمبر 2015، ص 267.

غير معروفة، والمغرب الأوسط لا يقل أهمية عن باقي الدول التي تمتلك أضرحة ومزارات، فبعد الإنتاج العلمي الكبير، الذي قام به عبد الرحمن الأخضري توفي وترك لنا مخزونا كبيرا من المؤلفات، كما أصبح بعد وفاته مزارا يقصده الناس نظرا لشهرته الواسعة[1].

وقد عبر عن هذا الكلام الورثلاني صاحب الرحلة، وهو من أهل القرن الثاني عشر هجري، حيث قال عن الأخضري[2]: "ومدفنه في الزاب المذكور وهو مشهور والوفود تأتيه شرقا وغربا وجوفا وقِبلة سيما بمحروسة مصر الجامع الأزهر إذ قد أقبلوا على تلك التآليف إقبالا كليا تدريسا وبحثا وشرحا وتعليقا بالحواشي وتطريرا سيدي عبد الرحمن الأخضري نفعنا الله ببركاته وأفاض علينا من بحر أنواره رضي الله عنه[3] وإنا سمعنا أنه هو الذي أظهر قبر خالد بن سنان باستخدام طريقة التربيع[4]، والجدير بالذكر أن زوار قبر الشيخ ليسوا كلهم عامة بل فيهم من الخاصة الكثير، ومن هؤلاء العلماء الرحالة كلهم من المغاربة والجزائريين الذين يمموا ضريح الأخضري بقصد التبرك والاستطلاع والوقوف على قبر علم جزائري طالما رددوا منظوماته وطرق أسماعهم أخبار كراماته، وفي طليعة أولئك العلماء الرحالين الشيخ أبو سالم عبد الله العياشي[5].

([1])– ابن قايد، المرجع السابق، ص 267.

([2])– نفسه.

([3])– الحسن بن محمد الورثلاني، **الرحلة الورثلانية**، ط 1، القاهرة، مكتبة الثقافة، 2008، ص 15.

([4]) – صيد، عبد الرحمن الاخضري حياته وآثاره، ص ص 47–48

([5])– هو أبو سلم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي المالكي ولد بقبيلة آيت عياش قرب تافلالت(شعبان 1037 – 1628/1090 ماي –1679)، كان أبوه شيخ زاوية وهو الذي أشرف على دراسته الأولى، ثم انتقل العياشي إلى زاوية وادي درعة، وتتلمذ لمحمد بن ناصر، ثم عاد إلى فاس، حيث أكمل تعلمه على يد مشايخ، مثل عبد الرحمن بن القاضي وعبد القادر الفاسي، الذي أجاره سنة 1063هـ/1653م، ثم انتقل إلى المشرق وأقام بعواصمه طلبا للعلم، المرة الأولى سنة 1059هـ/1649م، والمرة الثانية سنة 1064هـ/1653م، والمرة الثالثة سنة 1073هـ/1661م، وتوفي العياشي بالمغرب الأقصى سنة 1090هـ/1679م بسبب الطاعون، وترك آثارا مهمة، فالعياشي كان محدثا وصوفيا وعالما وشاعرا، له منظومة في البيوع وأخرى في التصوف سماها "تنبيه ذوي الهمم العالية على الزهد في الدنيا الفانية "وله أيضا كتاب في التراجم عنوانه "إقتفاء الآثار بعد ذهاب أهل الآثار "، وله رحلة سماها "ماء الموائد"، ينظر: بالحميسي، المرجع السابق، ص 18، سالم العياشي، **إتحاف الأخلاء بإجازات المشايخ الأجلاء**، تح: محمد الزاهي، ط 1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1999، ص ص. 21–22.

أولا. الرحلة العياشية:

قامت الرحلة العربية بدور هام في إذابة الجليد بين شقي العالم الإسلامي مشرقه ومغربه وقد دونت هذه الرحلات خلاصة هذا الالتقاء والتوافق وخصوصا الرحلات التي انطلقت من المغرب الإسلامي إلى وجهات أخرى، وتعد رحلة أبي سالم العياشي أحد أهم هذه الرحلات، لتجسيدها لمفهوم التواصل الحضاري بدقة من خلال حلقات العلم التي عقدها الرحالة بمختلف دول الشرق، بالإضافة إلى الإجازات العلمية التي تحصل عليها، أو التي أجازها لغيره من منطلق العالم المنفتح، الذي وضع الأسس العلمية مقياسا للحكم على مختلف المظاهر التي تعترضه[1] .

تعتبر هذه الرحلة مهمة جدا، وبسبب أهميتها عمد بعض المستشرقين إلى ترجمتها إلى اللغة الفرنسية، مثل اربوجر Erbugger، فقد أورد فيها مشاهداته خلال أسفاره وخاصة وصفه الدقيق للصحراء في المغرب الأوسط وعادات الناس وأحوالهم المعيشية وظروفهم السياسية وخصائصهم الثقافية[2].

فمسار الرحلة العياشية كان كالتالي، فبعد وصوله إلى مدينة سجلماسة بالمغرب الأقصى"دخل(وادي غير)[3]عام 1662م، ثم بني عباس القريبة من بشار، ومن بعدها وصل القليعة وورقلة وتماسين وتقرت حتى وصل إلى مدينة نفطة في المغرب الأدنى المحاذية لوادي سوف، وفي طريق عودته عرج على زريبة حامد من ولاية بسكرة إلى غاية سيدي عقبة، ولكنه لم يدخلها لوجود وباء الطاعون فيها، وفي 22 مارس 1663م دخل الرحالة العياشي مدينة بسكرة، ومن أبرز المحطات التي ذكرها في رحلته زيارته ضريح الأخضري، وصلى في مسجده وترجم له بإيجاز مثنيا عليه وعلى بعض تآليفه[4]، فقال:

"وكان ارتحالنا من بلاد بسكرة قاعدة بلاد الزاب يوم الخميس وسرنا على أية من الوجل من عرب أولاد نصر لكثرة ما يخوفنا الناس منهم، وإجتمع الركب عند الساقية وساروا جميعا"ومررنا

([1])–بناهض عبد الكريم، "**التواصل الحضاري بين المشرق والمغرب العربي من خلال الرحلة العياشية(ماء الموائد)**"، مجلة الذاكرة، الجزائر، ع 10، جانفي 2018، ص 57.

([2]) بناهض، المرجع السابق، ص 57.

([3]) يقع بالمغرب الأوسط، المرجع نفسه.

([4]) امليلي هي من قرى الزاب الغربي في بسكرة، تبعد 30 كلم جنوب بسكرة وهي موجودة إلى الآن، نفسه.

بقرية امليلي ظهرا ثم بزاوية سيدي الشيخ عبد الرحمن الأخضري ودخلنا لزيارته وصلينا بمسجده، وهو إمام جامع بين علمي الظاهر والباطن له تآليف مشهورة وكرامات مأثورة وأشهر تآليفه المنظومة في المنطق المسماة بالسلم المرونق ، وقد نفع الله بها وله منظومة في السلوك تشابه "المباحث الأصلية" رائقة النظم فائقة الحسن حلوة(سلسة)، وله مقدمة في الفقه مشهورة عند أهل ذلك البلد وبيتهم بيت علم وصلاح "[1]، ولا شك أن هذه الأسطر المعدودات التي ضمنها العياشي رحلته حول العلامة الأخضري وعائلته في تلك الفترة، أي عام (1663م)[2] تفند إلى حد ما الإدعاءات التي روجها المستشرقون، وخاصة الذين حاولوا جاهدين نعت العهد التركي بشتى النعوت والأوصاف التي تحط من قيمته وبأنه عهد جهل مطبق وأمية متفشية.

وقد أورد العياشي في رحلته أن الشيخ الأخضري، ومن خلال الروايات بأنه هو الذي أظهر للناس قبر خالد بن سنان العبسي الموجود ضريحه اليوم بالبلدة التي تحمل اسمه (سيدي خالد)[3]، حيث يقول: "سمعت أنه هو-أي الأخضري-الذي أظهر القبر، الذي في بلاد الزاب المنسوب لنبي الله خالد بن سنان العبسي عليه السلام، وهذا القبر الآن من المزارات الشهيرة في تلك البلاد، تقصده الأركاب لزيارته من نواحي إفريقية كلها"[4]، وهذا يبين المكانة التي يحظى بها هذا القبر في المغرب الأوسط وبلاد المغرب قاطبة، وهذا منذ اكتشافه من طرف العلامة عبد الرحمن الأخضري، ويضيف العياشي أن حول ضريح سيدي خالد"مسجد عظيم وحوله مدرسة، مما يبرز الدور الثقافي والإشعاع العلمي، الذي كان يصدر من منطقة الزيبان[5]، كما جد الرحالة في البحث والتنقيب عن الطريقة التي كشف بها الأخضري قبر خالد بن سنان العبسي، فأخبر أنه شاهد النور الصاعد من تلك البقعة إلى السماء ثلاث ليال و نحوها، وفي ذلك يقول الأخضري أيضا في قصيدة اللامية حول هذا النور الساطع[6]:

([1]) صيد، **عبد الرحمن الأخضري**، المرجع السابق، ص 50-51.

([2]) نفسه، ص 51.

([3])-سيدي خالد، دائرة تتبع ولاية بسكرة تبعد عن مقر الولاية بحوالي (100كلم) وعن دائرة أولاد جلال بحوالي (7كلم) فقط ومن أعلامها الشيخ نعيم النعيمي(1909-1973م) والشاعر الشعبي الكبير محمد بن قيطون، ينظر: مصمودي، المرجع السابق، ص 77.

([4])-بالحميسي، المرجع السابق،ص 103.

([5])-مصمودي، المرجع السابق، ص 77.

([6])-نفسه، ص 77.

إن النبوة قـد لاحت شواهدها كيف المحـــالة والأنوار لم تزل

أنواره سطعت فوق الربى وبدت على الفيافي وفوق السهل والجبل[1]

وقد أخبر أنه تم له ذلك عن طريق(الكشف) ، وعند نتبع ما كتبه العياشي في رحلته حول هذه المسألة التي مازالت تعتبر محل خلاف وجدل بين العلماء نجده قد أورد بعض الشواهد المماثلة التي حدثت لبعض الأنبياء بالشرق الإسلامي، مثل كشف قبر نبي الله موسى عليه السلام، ورغم عدم نفيه لنبوة خالد بن سنان العبسي، إلا أنه يستبعد أن يكون مدفونا في هذا المكان، وهذا حسب قوله: "ويبتعد عندي كل البعد أن يكون خالد بن سنان العبسي مدفونا في هذا المكان[2].

ثانيا. الرحالة الحسين الورثلاني:

يعتبر الرحالة الورثلاني[3]من الشخصيات المهمة التي زارت ضريح العلامة عبد الرحمن الأخضري، وهذا دليل على أن العلامة الأخضري كان رمزا مهما ومازال إلى الآن، فالرحالة الحسين الورثلاني، الذي زار بسكرة في حدود عام 1765م، وعرج على بلدة العلامة الأخضري، فلبث قرب ضريحه ثلاث ليال سويا مريدا السلوك وتعلم الطريقة الصوفية التي كانت سائدة في تلك البلدة وما حولها[4].

فالورثلاني كان معروفا بالبحث عن روح التصوف، والتقصي عن أحوال المتصوفة والرحلة إليهم، والجلوس بين أيديهم وفي حضرة شيوخهم وأقطابهم، ودراسة الطرق الصوفية التي انتشرت

([1])–تبرماسين، **ديوان عبد الرحمن**، المرجع السابق، ص 76.

([2])–بالحميسي، المرجع السابق، ص 104.

([3])–هو الحسين بن محمد بن سعيد بن الحسين بن محمد بن عبد القادر بن أحمد الشريف نجل الولي الصالح علي البكاي البجائي الذي أصله من تافيلالت بالمغرب الأقصى، والوثتلاني نسبة لقبيلة بني ورثيلان وهي قبيلة بالقرب من بجاية، وهو من مشايخ الطريقة الشاذلية وكذلك الخلوتية، ولد سنة 1125هـ–1713م بقرية آنو قرب ورتيلان حفظ القرآن في زاوية جده ودرس على يد والده وعلماء قريته مثل الشيخ زروق،ثم شد الرحال إلى الجزائر العاصمة وتلمسان، مليانة، بسكرة طلبا للعلم وتبركا بأضرحة الأولياء، ثم انتقل إلى الزيتونة وأدى فريضة الحج ثلاث مرات، الأولى عمره 18 سنة والثانية عمره 41 سنة، والثالثة استغرقت ثلاث سنوات، وله عدة مؤلفات منها "نزهة الأبصار في فضل علم التاريخ والأخبار".الورتلاني، **الرحلة الورتلانية**، المرجع السابق، ص 5،7، ينظر: عبد المنعم القاسمي الحسيني، **أعلام التصوف في الجزائر**، ط.1، دار الخليل القاسمي، الجزائر،2006، ص ص. 143–144.

([4])–مصمودي، المرجع السابق، ص 78.

في تلك الفترة ببلاد المغرب الإسلامي، وبالرغم من أنه كان عالما وعلى دراية بالعديد من السلوكات التي ألصقت بالتصوف السني والبعيدة عن الدين الإسلامي، فقال عنه سعدالله: " فقد أخذ، أي الورتلاني يزور القبور ويصلي حولها ولا يكاد يسمع بصالح، حقيقة أو خرافة، إلا زاره وأخذ البركات منه"[1].

لذلك نجد الحسين الورثلاني دائم الافتخار في رحلته بأنه زار عددا من الأولياء وكذلك الأضرحة كضريح سيدي خالد، وأيضا عبد الرحمن الأخضري وغيرها من الأضرحة المهمة في عدة مناطق وبلدان، ومن الفوائد التي نتجت عن رحلة الورثلاني لقبر وزاوية الأخضري ببنطيوس نذكر ما يلي:

-شرحه لمنظومة القدسية التي تركها العلامة الأخضري، والتي تختص بذم البدع والخرافات التي ألحقت بالتصوف الصحيح، وأعطى الورثلاني اسما لها وهو: "الكواكب العرفانية والشوارق الأنسية في شرح ألفاظ القدسية"، حيث قام بشرحها بعد إلحاح من طرف معارفه وكذلك بسبب عدم وجود شرح لها، وذلك بالاعتماد على القشيري وأحمد زروق وغيرهم من أصحاب التصوف الصحيح[2].

-أكد الورثلاني أن عبد الرحمن الأخضري، قام بتأليف حوالي ثلاثين مؤلفا دون أن يدونها كاملة أو يورد عناوينها[3].

-أكد كذلك على المكانة التي تحظى بها أعمال الأخضري في عدة بلدان من المغرب والمشرق، فقال الورثلاني بهذا الخصوص: "أقبل الناس عليه(أي الجوهر المكنون) في مغربنا، كما أقبلوا على السلم شرقا وغربا، خاصة في مصر، وأن المصريين أقبلوا على تآليف الأخضري إقبالا عظيما"[4].

-لقد وضعت رحلة الورتلاني وصفا دقيقا للحالة السياسية والاجتماعية التي كانت سائدة في الزيبان وبنطيوس في تلك الفترة، ففي هذه الوقت نجد أن العثمانيين استولوا على الكثير من الممتلكات، كالأوقاف والمدارس التي قال أنها كثيرة، وأضحوا يستهلكون أموال الأحباس كأنها

([1])-سعد الله، **تاريخ الجزائر**، المرجع السابق، ج 2، ص ص 478،974.

([2])-مصمودي، المرجع السابق، ص 79.

([3])-نفسه، ص 79.

([4])-الورثلاني، المصدر السابق، ص17،15 ص.

ممتلكاتهم، وعن هذا الموضوع قال الورثلاني: " فأصبحوا(أي العثمانيون الأتراك) يأكلون منها وينتفعون بها كالأملاك الحقيقية، وهي ليست لهم وليسوا من أهلها، لكنهم تمردوا وطغوا وجعلوا الخطط الشرعية لهم ظلما" [1].

– ومن الأمور التي دونها الورثلاني عن واقع البلاد الأوبئة والأمراض الخطيرة في بسكرة، ومنها وباء الطاعون، الذي أهلك الحرث والنسل، ولكنه لم يذكر تفاصيل كافية عن هذا الموضوع، وذلك لأنه ركز على الجانب السياسي دون غيره، فقد قدر عدد الضحايا لهذا الوباء بحوالي سبعين ألف حسب ما جاء في رحلة العياشي[2].

ثالثا–**الرحالة الزياني:**

من بين الرحالة الذين زاروا ضريح العلامة عبد الرحمن الأخضري أبو القاسم بن أحمد بن علي الزياني[3]، وهو أديب ورحالة ووزير له قيمة كبيرة، حيث زاره في القرن الثالث عشر هجري[4]، ونجد أن العلامة الزياني قد ذكر اسم الأخضري وضريحه وزاويته في بنطيوس في رحلته الشهيرة بـ"الترجمانة الكبرى"، فلقد انطلقت رحلة الزياني من المغرب الأقصى حتى وصل إلى إسطنبول عاصمة الدولة العثمانية مارا بتلمسان التي لبث فيها سنة ونصف[5]، فيقول الزياني: " ثم بعد إقامتنا بها(أي تلمسان) سنة ونصفها، خرجنا منها إلى مدينة الجزائر فرارا من الوباء الذي حل بها، وكان عاما من العمائر التي بينها وبين الجزائر، فما نزلنا منزلا إلا وجدنا أهله يدفنون موتاهم"، وهذا دليل على الأمراض التي كانت منتشرة في الفترة العثمانية، ثم واصل رحلته عابرا مدينة شقرون ومستغانم ومعسكر وتيهرت وغيرها من المدن، وأورد أيضا اسم ورقلة وبسكرة في رحلته، فقال: "وبالقرب منها(أي ورقلة) في غربيها مدينة بسكرة من حساب عمالة

([1])–مصمودي، المرجع السابق، ص 80.

([2])–نفسه، ص 80.

([3])–هو أبو القاسم بن أحمد ابن الفقيه أبي الحسن علي بن إبراهيم الزياني، ولد بفاس سنة 1147هـ–1734م، ولقد كان جده علي إماما بقصر المولى إسماعيل، الذي اختاره لدينه واستقامته وإلمامه بالقراءات العشر، لقب بالزياني نسبة لقبيلة زيان من أهل الأطلس المتوسط، نشأ بفاس وتعلم بالقرويين على يد كبار علمائها وكان من نوابغ طلابها وأنبه رجالاتها، ولقد حج مع والده وتعرض لعدة نكبات مهولة، وله عدة مؤلفات مثل: الترجمانة الكبرى، توفي يوم الأحد رجب 1241هـ الموافق لـ 17 نوفمبر 1833م في مدينة فاس، ينظر: أبو القاسم الزياني، **الترجمانة الكبرى**، تح: عبد الكريم، ط 1، دار المعرفة للنشر، الرباط،1991، ص ص 12–13، بالحميسي، المرجع السابق، ص 20–21.

([4])–صيد، **عبد الرحمن الأخضري**، المرجع السابق، ص 51.

([5])–بالحميسي، المرجع السابق، ص 172.

الجزائر، وهي من أحسن المدن لكثرة مرافقها وخصبها وتوسطها بين التل والصحراء، وبها مساجد معتبرة البناء"[1].

ثم وصف عدة أمور في بسكرة، وبعدها انتقل للحديث عن عبد الرحمن الأخضري وزاويته وضريحه ببنطيوس، حيث كتب يقول: "وعلى مرحلة منه (ضريح عقبة بن نافع) زاوية ضريح العلامة الصالح في زاويته المشهورة به، وهو سيدي عبد الرحمان الأخضري صاحب المنظومة في المنطق المسماة بالسلم المرونق، وله منظومة في السلوك تشابه المباحث الأصلية، وله مقدمة في الفقه يتعاطاها أهل تلك البلاد"[2].

وما يلاحظ من هذه الفقرة وبعد المقارنة مع الرحلة التي قام بها العياشي، نجد أنه نقل حرفيا عن سلفه العياشي، ولم يأت إلى زيارة ضريح الأخضري، وتعتبر الفترة الزمنية بين الزياني والعياشي طويلة والظروف الاجتماعية والسياسية وغيرها من الأوضاع المختلفة، ولقد حذا الزياني حذو العياشي في التطرق للعلامة الأخضري وتناول قضية قبر خالد بن سنان العبسي بل نقل عنه حرفيا ما جاء في رحلته من مواضيع وقضايا[3]، فقال: "ولم أقف له على خبره في كتب التاريخ ولا في تقييد لأحد، إلا ما رأيته في رحلة الشيخ العلامة أبي سالم العياشي"[4].

([1])–الزياني، المصدر السابق، ص 149.

([2]) الزياني، المصدر السابق، ص 149..

([3])–مصمودي، المرجع السابق، ص 81.

([4])–بالحميسي، المرجع السابق، ص 173.

الفصل الثالث: موقف الأخضري من التصوف

موقف الأخضري من التصوف.

موقف الأخضري من السلطة العثمانية في الجزائر.

المبحث الأول: موقف الأخضري من التصوف.

أولا: لمحة تاريخية عن التصوف.

1- تعريف الـتصوف:

يعرف التصوف بأنه تيار روحي يسري في الأديان جميعها وبمعنى أشمل بأنه إدراك الحقيقة المطلقة، سواء سميت هذه الحقيقة "حكمة" أو"نور "أو "عشق" أو "عدم"[1]وتنقسم الشريعة عند المسلمين إلى قسمين: "علم الظاهر وهو الفقه وحامله يدعى بالفقيه، وعلم الباطن ويعرف بفقه القلوب أو علم الآخرة أو التصوف وممارسه يعرف بالصوفي، ولقد ورد في القرآن حول هذين العلمين قوله تعالى: "وأسبغ عليهم نعمة ظاهرة وباطنة" وقوله عز وجل أيضا: "ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم"، ويعرفه البعض بأنه: التصوف علم تعرف به أحوال تزكية النفوس، وتصفية الأخلاق وتعمير الظاهر والباطن لنيل السعادة الأبدية، حيث ماهية الشيء حقيقته، وحقيقته ما دلت عليه جملته وتعريف ذلك بحد وهو أجمع أو رسم وهو أوضح أو تفسير وهو أتم لبيانه وسرعة فهمه[2].

2-أصل كلمة التصوف واشتقاقها:

فيما يخص البحث الشرح اللغوي والاصطلاحي لكلمة صوفي، فهو غير موجود، لكن يذهب العلماء في البحث عن أصل كلمة الصوفي ومأخذها عدة مذاهب، فهناك من قال إنها أخذت من الصفة تشبيها لهم بأهل الصفة من فقراء المهاجرين والأنصار، الذين كانوا يقيمون في صفة بناها لهم الرسول عليه الصلاة والسلام في مؤخرة مسجده الشريف للذكر والعبادة لا يبرحونها إلا إلى غزوة أو جهاد في سبيل الله، ولا شك أن الحياة التعبدية الخالصة لأهل الصفة كانت القدوة الحسنة للصوفية من بعدهم، والبعض الآخر قال إنها أخذت من الصفاء أي: صفاء قلب الصوفي وطهارة ظاهرة وباطنة عن مخالفة أوامر ربه[3].

([1])-آنا ماري شيمل، **الأبعاد الصوفية وتاريخ التصوف**، تر محمد إسماعيل السيد و رضا حامد قطب، ط 1،منشورات الجمل،بغداد،2006،ص 7.

([2])-نبيل معين عساف، **قواعد التصوف للشيخ أحمد زروق الفاسي رحمه الله**، د ط، د د ن، دم، دس، ص 18.

([3])-صلاح مؤيد العقبي، **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر(تاريخها ونشاطها)**، ط خ، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 26. و ينظر، محمد بن بريكة، **موسوعة الطرق الصوفية**، د ط، دار الحكمة، الجزائر، 300،ج 2، ص 76.

وآخرون يرونها مشتقة من كلمة تصوف أي لبس الصوف لأنهم قد اشتهروا بلبس الصوف اعتقادا منهم أنه لبس الأنبياء فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يلبس الصوف ويركب الحمار ويجيب دعوة العبد، كما اشتهر سيدنا عيسى عليه السلام بأنه كان يلبس الصوف ويأكل من الشجر، وينام حيث يمسي، وقيل أيضا أن الاسم مشتق من كلمة صوفة، فالصوفة هي علامة زهده وتواضعه وافتقاره واستكانته، وكذلك التخفي والتواري عن إظهار مقامه إنما هو كالصوفة الملقاة على الأرض والخرقة التي لا يبالي بها أحد، فهو زاهد مستكين متمسكن (لله)، لكن هناك من قال أيضا: هي كلمة مشتقة من كلمة صوفة مثل كوفي من كوفة أي نسبة إلى المكان، وقد سموا نسبة إلى أولائك الذين يقفون في الصف الأول بين يدي الله عز وجل ويتقدمون على بقية الصفوف جميعا، وذلك بعلو همتهم وإقبالهم على الله بقلوبهم والوقوف بين يديه بسرائرهم[1].

نعنى بالتصوف عزوف النفس عن الدنيا[2]والعكوف على العبادة والانقطاع إلى الله والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الناس من لذة ومال وجاه والإنفراد عن الخلق في الخلوة للعباد[3]، وقد اختلفت المصادر في أصل ونشأة كلمة التصوف والصوفي فاجتهد المهتمون بعلم التصوف أنفسهم في اشتقاقها والبحث في مصدرها، حيث يعتبر بأنه علم التزكية والذوق والتربية الروحية وعلم الأسرار أو هو درجة الإحسان عند البعض، أي بمعنى أن تعبد الله كأنك تراه كما جاء في الحديث الشريف وهو ينسب إلى الصفة والصفاء والمصافات، وقد ذكر المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون أن الصوفية نسبة إلى كلمة الصوف وهو لباس الأتقياء والأصفياء والبعض الآخر قام بنسبه إلى "صوفوس (theosophy")، وهي كلمة يونانية تعني الحكمة أو إله الحكمة[4].

كما يعتبر الزهد أول مراتب الطريق إلى التصوف والسلم الطبيعي إليه، حيث اختص به النبي "صلى الله عليه وسلم" واتخذه مسلكا في حياته ونمط معيشته، وقال فيه أحاديث عديدة

([1])–عبد المنعم الحنفي، **الموسوعة الصوفية**، ط1، دار الرشد، القاهرة، 1992، ص998 .

([2])–الطاهر بونابي، **التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و 7 الهجريين / 12 و 13 الميلاديين**، د ط، دار الهدي للنشر، الجزائر، ص 33.أنظر،محمود يوسف الشوبكي، **مفهوم التصوف وأنواعه في الميزان الشرعي**، مجلة الجامعة الإسلامية، غزة، ع 2،2002،ص 6،10.

([3])–ابن خلدون عبد الرحمن، **المقدمة**، تح: حجر عاصي، د ط، دار الكتب الهلال، بيروت، 1991، ص 295.

([4])–مصمودي، المرجع السابق، ص 45.

منها قوله: "إذا رأيتم الرجل قد أعطى زهدا في الدنيا وقلة منطق فاقتربوا منه فإنه يلقى الحكمة» وقوله أيضا« من زهد في الدنيا أدخل الله الحكمة قلبه، فأنطق بها لسانه وعرفه داء الدنيا ودواءها وأخرجه منها سالما إلى دار السلام"كما تكلم النبي«صل الله عليه وسلم" في الممارسة الصوفية من خلال حديثين صحيحين أعتبر في الأول أن الفرائض والنوافل طرق إلى الله تعالى بقوله: "من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضته عليه [1]، ومازال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطيته، ولئن إستعاذني لأعيذنه"[2].

والثاني في عرض سؤال جبريل عليه السلام عن الإسلام وعن الإيمان ثم عن الإحسان فأجاب النبي(صل الله عليه وسلم) "الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك" وبالتالي أقرت هذه الأحاديث أن الدين الإسلامي ليس دينا رتيبا وإنما هو سير وترقى وأن الإحسان يتضمن مقامات السالكين من زهد وإخلاص ومراقبة وغيرها، فالنبي (صل الله عليه وسلم) يعتبر أول من رسم طريق الزهاد وسن المراتب ورتب المسالك للصوفية[3] .

وفي نصوص القرآن الكريم عدد كبير من الآيات الداعية إلى الزهد والتصوف، وأخرى تناولت سير الأولياء وقصصهم والصالحين ومناقبهم وحكمهم وعلومهم اللدنية، وكانت ثمرة التربية النبوية وتأثير القرآن في نفوس الصحابة والسلف الصالح احتقروا الدنيا واستصغروها في قلوبهم وعملوا على مراقبة أفعال القلب باعتباره يمثل مصدر الأفعال، بل وزهدوا حتى في زهدهم رغبة في معرفة الله، ومن طلائع الصحابة المنقطعين في الزهد نجد أبو هريرة، وأبوذر الغفاري، وعموم أهل الصفة وغيرهم[4].

([1])–بونابي، **الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين 8و9هجري/14و15ميلادي**، ص 2 .

([2]) Mohammad b. Mohammad al-Udwani, **TARIKH AL UDWANI** ,Texte etabli par,ABU-L-QASIM SA'DALLAH,DAR AL-GHARB AL-ISLAMI,LIBAN,1996,P312.

([3])–بونابي، المرجع السابق، ص 2.

([4])–زروق، المرجع السابق، ص 19.

ويقول القشيري[1]"التصوف هو كف فارغ وقلب طيب"، ويقول أيضا "التصوف هو الوفاء بالعهود، ثم الفناء عن كل معهود، وهو السكون بحكم وقتك ثم الخروج عن نعتك، وهو ذهاب الكدور وزوال الغير، وهو أخذ بوثيقة، وقيام بحقيقة، وهو عهد غير منقوض، وحال غير مرفوض" [2].

3- ظهور التصوف في الإسلام:

يجمع جل العلماء والمؤرخين على أن التصوف الإسلامي ظهر خلال القرن الثاني الهجري، ومن هؤلاء أبو القاسم القشيري في كتابه الرسالة والسراج الطوسي في كتابه اللمع وعبد الرحمن بن خلدون في كتاب المقدمة وقد انتشرت كلمة صوفي بعد أن قالها أبو هاشم الكوفي المتوفي سنة 150هـ/715م، أما ببلاد المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط بالخصوص، فقد برز فيها التصوف خلال القرنين 6 و7 هجري(12و13 ميلادي)، لكن الانتشار الفعلي له كان في حدود القرن الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، أي في بداية الوجود العثماني[3].

([1])-هو الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد الإستوائي القشيري النيسابوري الشافعي، المحدث الصوفي ولد سنة 376هـ في شهر ربيع الأول في بلدة "إستوا"ونسبته" القشيري "إلى بني قشير بن كعب، توفي أبوه وهو صغير فربي يتيما، ولكن النجابة ظهرت فيه من صغره فتثقف بالأدب والعربية ولكنه لم يكن يعلم الحساب فذهب إلى نيسابور ليتعلم طرفا من الحساب، حتى يتمكن من إدارة قرية له بإستوا، وأرادت الأقدار أن يحضر درس أبي علي الدقاق، فيرى إخلاصا ويرى تقوى ويرى نورا يرتسم على وجهه، ويشرق من كلماته فينير قلوب السامعين ويجذبهم إلى الله، وكانت فطرة القشيري النقية على استعداد تام لسلوك الطريق، ولقد رأى الإمام الدقاق فيه النجابة فقبله في زمرة مريديه، ثم اصطفاه في زمرة أخصائه، وزوجه ابنته، وهكذا إلى أن إنته الأمر بالقشيري فأصبح كما يقول عنه الإمام عبد الغافر النيسابوري هو "الإمام مطاقاً، الفقيه، المتكلم، الأصولي، المفسر، الأديب النحوي، الكاتب الشاعر، لسان عصره وسيد وقته، وسر الله بين خلقه، مدار الحقيقة، وعين السعادة، وقطب السيادة،، من جمع بين الشريعة والحقيقة، كان يعرف الأصول على مذهب الأشعري والفروع على مذهب الشافعي، وله عدة مؤلفات، ككتاب "دمية القصر، ولقد توفي الإمام القشيري صبيحة يوم الأحد في السادس من شهر ربيع الأول عام 465هـ بمدينة نيسبور ودفن بجوار شيخه أبي علي الدقاق، عبد الكريم القشيري، **الرسالة القشيرية**، تح: خليل المنصور، د ط، دار الكتب العلمية،لبنان،2001،ص ص 5-6.

([2])-رفعت أسوادي عبد حسون الناشي، **التصوف في منظور القرآن والسنة النبوية والعلماء(قراءة أدبية)**، مجلة الكلية الإسلامية الجامعية، النجف الأشرف، ع 42، 1997، ص 724.

([3])-زروق، المرجع السابق، ص 19-20، ينظر، صلاح مؤيد العقبي، **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر**، ط 1،دار البراق،202،ص 22.

وهناك بعض الباحثين والدارسين، الذين أرجعوا عوامل ظهور التصوف في بلاد المغرب الإسلامي إلى عدة عوامل ومن هؤلاء الباحثين نجد الهادي روجي إدريس (Hadi Roge idres)، إذ يقول: تعود ظاهرة التصوف إلى النهضة المالكية في القيروان منذ القرن الثالث الهجري/التاسع ميلادي في مواجهة الشيعة، ويحصر روبال برنشفيك أسبابها في تأثير المشرق على المغرب حيث عرفت علاقة بينهما في ميادين مختلفة أهمها الميدان الصوفي حيث انفتح المغرب الإسلامي على تطور المشرق، الذي أدى إلى ظهور المدرسة الصوفية، حيث ساهمت الرحلات بينهما في تطور العلم وأداء مناسك الحج أو العمل التجاري في التواصل الصوفي بالمشرق والاتصال بأعلام التصوف عن طريق التتلمذ عليهم أو الإطلاع على مذاهبهم واتجاهاتهم في هذا المجال أو الاستفادة من الكتب والمؤلفات الصوفية[1].

ومما زاد في انتشار ظاهرة التصوف بمختلف طرقه وأوراد مشايخه في هذه الفترة تشجيع العثمانيين لها باعتبار أن تربيتهم غلب عليها الطابع الصوفي، لاسيما الطريقة البكداشية[2] التي يكنون لرجالاتها كل الاحترام والتقدير والتبجيل إضافة إلى الطريقة النقشبندية [3]
وكذلك الطريقة القادرية وغيرها [4]، ولقد قامت الطرق الصوفية في الجزائر بدور فعال في التصدي للغزو الأوروبي والإسباني خاصة، وهذا أدى إلى كثرة انتشار الطرق الصوفية التي

([1])–محمد الأمين شرويك، "**إنتقال التصوف إلى بلاد المغرب**"، مجلة آفاق فكرية،د م،ع 6، 2017، ص93 .

([2])–**البكداشية**، هي طريقة صوفية تركية تنسب إلى الحاج بكداش ولي القرن 7هـ.عبد المنعم الحنفي، **الموسوعة الصوفية**، ط1، دار الرشد، القاهرة، 1992، ص998.

([3])–**النقشبندية**، تنسب هذه الطريقة إلى الخليفة الراشدي أبي بكر الصديق(ض)(ت13هـ/632م)إذ يعتبره أصحابها المؤسس الأول وهم بذلك يرجعونها إلى الرسول(ص)على أساس أنه خليفة الرسول(ص)في علمه وهديه، وذلك إستنادا لآيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة، والطريقة النقشبندية إستقت مبادئها وأسسها التي ميزتها عن بقية الطرق الصوفية بفضل تعاليم أربع شخصيات:سلمان الفارسي، أبو يزيد طيفور البسطامي، محمد بهاد الدين الأوسي البخاري المعروف بشاه نقشبند ولقد تدرجت بعدة أسماء منذ ظهورها، ومصطلح النقشبندية نسبة إلى السيد بهاء الدين بن محمد الحسني البخاري الشهير بنقشبند وهو لقبه ومعنى كلمة نقش صورة الطابع إذا طبع به على شمع أو نحوه ومعنى بند ربط وبقاء من غير محو فالكلمة تشير إلى الذكر في القلب وإنطباعه فيه. المهدي الغالي، **الرحلة الناصرية الكبرى**، ط1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ج1، 2013، ص ص688–689، أنظر، محمد أحمد درنيقة، **التصوف الإسلامي الطريقة النقشبندية وأعلامها**، د ط، جروس برس، طرابلس، 1987، ص 10، 18، وكذلك، عبد الرحمن محمد سعيد دمشقية، **الطريقة النقشبندية**، د ط، الفرقان، د ب، ص 10–11.

([4])–**القادرية**، هي أقدم الطرق الدينية على الإطلاق وبدون منازع وهي منسوبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني(1078–1166) ويعتبر سلطان الأولياء ويلقبه مريدوه بقطب الأقطاب وملك البر والبحر، ولقد نشأت في بغداد بالعراق في القرن الثاني عشر للميلاد. بودواية بلحيا، **التصوف في بلاد المغرب العربي**، ط1، دار القدس العربي، الجزائر، 2009، ص 27، 26، 25.أنظر، أبي زيد عبد الرحمن التمنارتي، **الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة**، تح :اليزيد الراضي، ط 1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2007، ص 218.

أعتمدها بعض المتصوفة المنحرفين في نشر الخرافة والدجل وكان همهم إدعاء الكرامات وجمع المال والهدايا من الفقراء، واستغلال العامة ماليا وابتعادهم تماما عن التصوف الحقيقي القائم على العلم والعمل به، والذي يستمد أصوله من الكتاب والسنة.

وكان لظاهرة التصوف المنحرف الأثر الكبير في انهيار المجتمع، وتسببت في ضياع العلم وغياب العقل الشيء، الذي أدى إلى ظهور ثورة فكرية قادها بعض العلماء الذين انتصروا للتصوف الحقيقي وسخروا جهودهم في محاربة الدجل والشعوذة التي مارسها كثير من الدجاجلة باسم التصوف، ولقد بدأت هذه الثورة قبل الأخضري من طرف محمد بن عبد الكريم المغيلي[1]، ومع هذا يجب الاعتراف بأن عبد الرحمن الأخضري لم يأت من العدم ولم يترعرع وينشأ في أرض عقيمة بالكل، ولم يكبر في تربة غير صالحة للحرث والإنبات بالتمام، بل هو سليل أسرة علمية صوفية أنجبت علماء عديدين منهم جده محمد بن عامر الذي ألف كتاب في الفتاوى ثم أبوه محمد الصغير الذي ألف(حاشية لكتاب سيدي خليل) كما ألف كتابا عالج فيه موضوع التصوف حيث انبرى لنقد المنحرفين الذين حادوا عن طريق الصواب واختاروا الدروشة[2] .

كما أن انتشار التصوف الإسلامي لم ينشأ دفعة واحدة، أي دون مقدمات، بل كان هناك تدرج في انتشاره، وحصرت له ثلاث مراحل هي:

مرحلة الزهد الخالص والبعد عن الملذات والترفع عنها وهي فترة الخلفاء الراشدين والذين عاصروا نزول القرآن الكريم على الرسول صلى الله عليه وسلم، فكان يتلوا عليهم قوله تعالى: ﴿وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَ مَتَاعُ الغُرُورِ﴾[3].

أما المرحلة الثانية، فهي مرحلة إتباع الزهاد والمتشبهين بالسابقين أي الزهاد والوعاظ حيث ظهرت العديد من الشخصيات المتصوفة التي عرفت بالأعمال الصالحة وشدة الخوف من الحق سبحانه وتعالى والابتعاد عن ملذات الحياة، ونصحوا ووجهوا غيرهم إلى الالتزام بالآداب

([1])–ولد محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني في مدينة مغيلة التابعة لولاية تيارت حاليا وهو عالم وفقيه جزائري، ولد عام 831هـ الموافق ل 1427م ولقد كانت له مشاحنات مع يهود نوات أدت إلى قتالهم ولمزيد من المعلومات ينظر، مبروك مقدم، **الامام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني**، دار الغرب للنشر، 2003، الجزائر، ص 27، ينظر باجي عبد القادر، **الإمام المغيلي عصره وحياته**، د ط، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، د ب، 2011، ج 1، ص 76.

([2])–هلايلي، المرجع السابق، ص 246 .

([3])– سورة الحديد، الآية 77.

والأخلاق التي توصلهم إليه سبحانه وتعالى وتقوي صلتهم به، كما أنهم لم يعرفوا باسم المتصوفين، بل عرفوا بالزهاد والنساك وهذا في النصف الأول من القرن الأول وأول من لقب أو أطلق عليه مصطلح صوفي هو أبو هاشم الصوفي[1].

ومرحلة إتباع الزهاد والنساك في الزهد والتقشف وتبدأ هذه المرحلة مع بداية القرن الثالث الهجري إلى منتصف القرن الرابع الهجري وهي تحتوي على العديد من المتصوفين أما الأخيرة فهي: مرحلة الكلام والتحرر وبدأت هذه المرحلة مع بداية القرن الرابع الهجري، وعلى رأسها الحسين بن الحسين بن منصور الحلاج[2]

أما العوامل التي أدت إلى زيادة انتشار الزهد هو التأزم في المجتمعات عموما، وفي المجتمع العربي خاصة، ففي العصر العباسي مثلا حيث اتسع نطاق الفساد الإداري والفوضى السياسية، وكذلك الضيق الاقتصادي كل هذه الأمور خلفت وراءها تضخم في القلق النفسي والتحلل الأخلاقي والاضطراب في أفكار ومبادئ ومفاهيم وفلسفات أفراد المجتمع خاصة الفئة المثقفة المتعلمة التي تهدف لإصلاح المجتمع، وكان التصوف كرد فعل على هذا الوضع، ومع أن التصوف في حقيقته ظاهرة اجتماعية بإطار ديني، فهي في الوقت عينه ذات صبغة مركبة فردية وجماعية؛ وهنا تكمن الصعوبة في بيان العوامل المختلفة التي أفرزتها وتفسير أسباب ظهورها في المجتمعات ومن العوامل التي أدت لظهورها نجد :[3] العوامل السياسية وينتج عنها عدم استقرار الأوطان والدخول في حروب دائمة ومتتالية مع جيرانها أو أعدائها، فنجد أن الجزائر كانت دائما في صراع متواصل خاصة مع الإسبان وغيرها من الدول، ثم تأتي العوامل الاجتماعية والاقتصادية، فهذه العوامل تلعب دورا في حياة الأفراد[4].

([1])–أبو هاشم الصوفي، وهو أول صوفي استحق لقب صوفي، توفي سنة105هـ، وكان يعرف بأبي هاشم الصوفي وذلك في القرن الثاني الهجري.أحمد أمين، **ظهر الإسلام**، ط 5، دار الكتاب العربي، مج 2، لبنان، 1969، ص 149.

([2])–هو الحسين بن منصور توفي 309هـ، وله عدة ألقاب منها المغيث والمميز، وحلاج الأسرار، وله ديوان.عبد الله رزوقي، **الطرق الصوفية ومنطلقاتها الفكرية والأدبية بمنطقة توات**، أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه العلوم في الأدب العربي، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2016–2017، ص 44–45.

([3])–ندى موسى عباس، **التصوف وأسباب ظهوره في العراق**، مجلة ديالى، العراق، ع 35، 2009، ص 269.

([4])–نفسه، ص 269.

ثانيا: التصوف السني عند عبد الرحمن الأخضري:

لا يمكن فهم أي مفكر أو عالم دون معرفة الظروف التاريخية والفكرية التي عاشها وتأثر بها، لأن المفكر ابن عصره وبيئته، فما بالك إذا كان هذا العالم منغمسا في الحياة السياسية والاجتماعية[1]، وهذا ما نلاحظه قد برز في شخصية عبد الرحمن الأخضري، حيث ساد التصوف على كل شيء في فترة العثمانيين، بحيث لا يمكن أن يكون إنتاج علمائه إلا مصبوغا بالزهد والموعظة والالتزام بمبادئ المتصوفين والزهاد[2]، فنجد أن عبد الرحمن الأخضري لم يدع أثناء حياته كرامة وكشف سر ولا إدراك علم الظاهر والباطن، وإنما كان عالما عاملا يؤلف المتون ويشرحها ويجمع الكتب ويفهمها ويجلس للدرس ويخرج التلاميذ شأن العلماء الصالحين، غير أن المتأخرين في عصر أصبح العقل فيه يتقبل كل ناعقة هم الذين نسبوا إليه الكرامات الكثيرة التي منها أنه صاحب دعوى قد ظهر وإدعى أنه يطعم الناس التمر الرطب في غير وقته، فذهب إليه عبد الرحمن الأخضري ووضع يده على زنده فإذا التمر يصبح روث بهائم[3].

ويرى الإمام الأخضري ضرورة الجمع بين الفقه والتصوف لأنهما متكاملان متلازمان، فلا ينفع الفقه بدون تصوف، كما لا يصح تصوف بدون فقه، وهو ينصح المشتغل بالعلم الشرعي بقوله: (فينبغي لطالب العلم أن يجمع بينهما من أول بدايته ليتحصل له بركة العلم والعمل)، ثم نراه يحتج بقول الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه(من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن جمع بينهما فقد تحقق، وبما أن التصوف ضرورة تكميلية للفقه في الدين ولا يمكن الاستغناء عنه، فإن الأخضري ينبه إلى فضل التصوف ويحث على التمسك به، لأنه يمثل أزكى العلوم وأجلها وأهمها"[4].

ومن خلال سيرة عبد الرحمن الأخضري نرى بأنه نشأ في وسط علمي متمسك بالشرع، حريص على نبذ البدع والأوهام التي تتعارض مع الكتاب والسنة، فأخذ العلم عن أبيه محمد

([1])-ميلود حمينات، **من البرهان إلى العرفان رحلة البحث عن الحقيقة أبو حامد الغزالي من التفلسف العقلاني إلى التصوف العرفاني**، الأكاديمية للدراسات الإجتماعية والإنسانية، الأغواط، ع 15، جانفي 2016، ص 30.

([2])-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1998، ص 91.

([3])-نفسه، ص 246، 247.

([4])-عبد الحليم صيد، المرجع السابق، ص 105-106.

وشقيقه وعمه، والتحق كذلك بحلقات علم أخرى، يشرف عليها علماء في بلاد الزاب، مثل الشيخ الصوفي الزاهد عبد الرحمن بن لقرون نزيل ليشانة[1]، والشيخ أبو الطيب وعبد الهادي الفطناسي ببسكرة، ثم درس بعد ذلك في قسنطينة، فأخذ العلم عن عمر بن الكماد الوزان مع بعض الأقوال التي تذهب إلى أنه درس بتونس في جامع الزيتونة[2].

ونلاحظ أن الأخضري لم يدع أثناء حياته كرامة ولا كشف سر ولا إدراك علم الظاهر والباطن، وإنما كان عالما يؤلف المتون ويشرحها ويجمع الكتب ويفهمها ويجلس للدرس ويخرج التلاميذ، شأن العلماء الصالحين، غير أن المتأخرين في عصر أصبح العقل فيه يتقبل كل ناعقة هم الذين نسبوا إليه الكرامات الكثيرة التي منها أنه صاحب دعوى قد ظهر وادعى أنه يطعم الناس التمر الرطب في غير وقته، فذهب إليه عبد الرحمن الأخضري، ووضع يده على زنده، فإذا التمر يصبح روث بهائم، وغيرها من الصفات التي نسبت له، وهذه الروايات لا تمت بصلة إلى عبد الرحمن الأخضري، الذي تلقى ورد الطرق الشاذلية والزروقية على الشيخ محمد بن علي الخروبي، ولعله تأثر أيضا بتعاليم عمر الوزان الذي يجمع بين العلم والعمل به وبين التصوف والفقه[3].

ويعد الأخضري من الصوفية الصادقين المخلصين من خيار الناس، فالصوفية في رأي الأخضري هي: "العلماء حقا والسادات الأخيار والمقربون والأبرار وهم التابعون للشريعة والوارثون للحقيقة، حيث أخذ الأخضري هذه الطريقة أي التصوف الإسلامي عن طريقين هما والده الشيخ الصغير بن محمد الأخضري، فهو عالم ورع، فقد أدرك إمام الصوفية في زمانه أحمد زروق، فتلمذ له وأخذ عنه، أما الثاني فقد كان الشيخ محمد بن علي الخروبي الطرابلسي، أخذ عنه عبد الرحمن الأخضري ورد الطريقة الزروقية عند مروره بالزاب أثناء سفره لأداء فريضة الحج[4] .

([1])–ليشانة، هي إحدى قرى الزاب الظهراني، وهي على مقربة من مدينة طولقة المشهورة، ينظر عبد الرحمن تبرماسين، عبد الرحمن الأخضري، ص 41.

([2])–يعتبر من أقدم المعاهد العربية فهو يضاهي الأزهر وجامع القرويين بشمال إفريقية، وقد اختلفت الروايات حول من أسس الجامع، فقد نسب الشيخ أبي عبد الله بن عثمان سنوسي البناء إلى حسان بن النعمان، في حين أتمه عبيد الله الحبحاب سنة 141 هـ/ 764 م، .

([3])–هلايلي، المرجع السابق، ص ص 247–248.

([4])–صيد، **عبد الرحمن الأخضري**، المرجع السابق، ص 105، 106،

ويتشكل التصوف السني، الذي يعتبره عبد الرحمن الأخضري هو التصوف الحقيقي، الذي لا غبار عليه من ثلاث عناصر أساسية هي: الشريعة والطريقة والحقيقة، فالشريعة هي أحكام الله المتمثلة في الأوامر والنواهي، والطريقة هي الفرع وتتمثل في العمل بالشريعة، أما الحقيقة التي هي ثمرة الشريعة والطريقة، فتخص فهم أسرار الأشياء، ومنها الإطلاع على قبول الأعمال الخيرية بواسطة الشعور بانشراح الصدر واللذة عند مباشرتها إضافة إلى الفراسة، ومن هنا عرف المتصوفة بأهل الحقيقة نظرا لوصولهم لمعرفة الله الحقيقية، كما أن العمل هو الطريقة، والعلم هو الشريعة، والعلم الموروث هو الحقيقة فلا علم سوى ما أفاض به الله على عباده وسبيل ذلك الورع والتقوى، والحقيقة لا تخالف الشريعة بل هي عينها، لأن معظم أحكام الإسلام روحها الحقيقة[1]،وهناك من يقول أن كل الطرق التي مرت بها النفس، سواء ما يتعلق منها بحياة الزهد، فالتصوف يجب أن يؤدي إلى هذه الغاية، وهي الإتحاد بالله تعالى عن طريق الحب، وأيما فرد كان على علم بالشعر في الإسلام ويدرك أن شوق الروح لله تعالى[2].

ثالثا: الأخضري وموقفه من أدعياء التصوف(الدراويش):

عند دراسة بدع التصوف تتضح عدة اختلافات في البعد عن الإسلام، فكلما قرب العهد بالنبوة قلت البدع وكثر المنكر لها، مثل عهد الصحابة رضي الله عنهم وعهد التابعين لهم، فإنهم أنكروا على من خالف الحق، فقلّت البدع ولم يرفع لها رأس، وكلما تأخر الوقت ضعف نور النبوة والسنة، وقلّ العلم وظهر الجفاء وعظمت الفتن، ولذلك فبدع الصوفية متفاوتة، ولقد أجمع الباحثون على أن التصوف قد مر بعدة مراحل وهي[3]:

المرحلة الأولى: وتتمثل في عهد التابعين الذين أدركوا بعض الصحابة وكانوا يعرفون بالنساك والزهاد، والبكائين، والقراء، والتوابين، ونحو ذلك من الأوصاف التي أطلقت عليهم وعرفوا بها كالزهد والانقطاع عن الدنيا وترك الشهوات والملاذ المباحة، وتنتهي هذه المرحلة ببداية المرحلة الثانية للتصوف، ولكن لا يعني أن هذا النوع لم يعد موجودا، بل القصد هو ذكر

(1)-عبد القادر صحراوي، **الأولياء والتصوف في الجزائر خلال العهد العثماني(1520-1830)**، دط، دار هومة، الجزائر، 2016، ص34.

(2)-مشتاق بشير الغزالي، **(أعمدة التصوف الإسلامي في ميزان المستشرقين، جامعة الكوفة)، جامعة الكوفة**، دم، دع، دس، دم، ص 7.

(3)-فهد بن سليمان الفهيد، **نشأة بدع الصوفية**، د ط، د د ن، الرياض، د ت، ص ص 19-20.

أول مبادئ التصوف في أول حدوثه، ولم يكن لهؤلاء المتصوفة لغة رمزية خاصة، ولم يضعوا تعبيرات ولا مصطلحات خاصة بهم، والأهم من ذلك لم يكن لهم اسم خاص[1].

المرحلة الثانية: ذكر بعض المؤرخين أن أول من تسمى بالصوفي هو عبد الكريم ويقال أيضا عبدك[2] ويعتبر رأس الزنادقة، وذكر من صفات هذه الأهواء والبدع أن"عبدك" كان رأس فرقة من فرق الزنادقة ومن صفاتهم تحريم جميع ما في الدنيا إلا القوت ولا تحل إلا بإمام عادل وإلا فهي حرام ومعاملة أهلها حرام، واسم هذه الطائفة هو العبدكية، لأن عبدك وضع لهم هذا ودعاهم إليه وأمرهم بتصديقه[3]، إذا فالمرحلة الثانية تميزت بظهور أحوال عجيبة وسلوك غريب لكثير من العباد والزهاد زادوا زيادة واضحة على من قبلهم، وتميز بظهور اسم التصوف والصوفي، وهي بداية لانتشار هذه الأسماء والمصطلحات الأخرى المصاحبة لها، وهناك من اعتبر أن التصوف دخيل على الإسلام، وأن الزنادقة والرافضة هم من أنشأه وهم معروفون بكيدهم للمسلمين قديما قبل ظهور التصوف[4].

أما المرحلة الثالثة، فهي امتداد للمرحلة الثانية، وبدأت في نهاية القرن الثاني وفيها ظهرت عدة مصطلحات غامضة وتحمل عدة معاني، مثل الوحدة والفناء والإتحاد والحلول السكر الصحو والكشف، والمريد والعارف والحال وغيرها من المصطلحات، ويعتبر الباحثون أن هذه المرحلة هي مرحلة النضج والكمال في القرن الثالث، وفي هذه المرحلة أيضا ظهر التحزب المنهي عنه والتعصب للشيوخ الصوفية، الذي هو أصل بداية الطرق الصوفية.

والمرحلة الرابعة، فهي مرحلة التصوف الحلولي الاتحادي، وصرحوا في ألفاظهم بهذا الظلال، ولقد تسربت في هذه المرحلة الفلسفة اليونانية بسبب الترجمة الواسعة للكتب اليونانية وانتشار الباطنية[5].

وأمام ظهور التصوف الحقيقي والتصوف المغشوش، الذي أثر على المجتمع والعلماء خاصة في المغرب الأوسط، نلاحظ وجود ثورة كبيرة للتصدي للتصوف المغشوش، وهنا برز العلامة

([1])–فهد بن سليمان الفهيد، مرجع سابق، ص ص 19، 20.

([2])– عبد الكريم: ويسمى أيضا محمد المتوفي سنة 210هـ هو أول من تسمى بالصوفي، ينظر: الفهيد، مرجع سابق، ص.21.

([3])–نفسه ، ص22.

([4])–نفسه، ص 23.

([5])–نفسه، ص 24–25.

عبد الرحمن الأخضري، الذي كان من بين الذين كشفوا زيف أدعياء التصوف، ولقد ألف قصيدة طويلة في هذا المجال أطلق علها اسم القدسية[1]، وضمت حوالي(357 بيتا) دحض من خلالها الأخضري آراء هؤلاء المخادعين وأورد فيها نماذج من انحرافاتهم وأهوائهم وبدعهم، حيث نجده ينتقد بشدة هؤلاء (الأدعياء) الصوفية، الذين نسبوا إلى أنفسهم بعض الكرامات والصفات الجليلة وجعلوا لأنفسهم درجات عليا لا يبلغها سواهم بعد أن هجروا السنة النبوية والصراط المستقيم [2].

حيث يقول فيهم :

قد ادعوا مراتب جليلـــة والشرع قد تجنبـوا سبيلـــــه
قد نبذوا شريعة الرسول فالقوم قد حادوا عن السبيل
لم يدخلوا دائرة الطريقـــــة فضلا على دائرة الحقيقـــة
لم يقتدوا بسيد الأنـــــــام فخرجوا عن ملة الإســـلام
قد ملكت قلوبهم أوهـــــام فالقوم إبليس لهم إمـــــام
كفاك من جميعهم خيانـــة إذ ختلوا الدنيا بالديـــانـــــة[3]

فلقد شوه التصوف رجال مغرضون تزيوا بزيه وانتسبوا له، فأساءوا إليه بأقوالهم وأفعالهم وسيرتهم والتصوف منهم براء[4]، وفي هذا الصدد يقول الأخضري:

من كان في نيل الأماني راجيـــــا وعن شريعة الرسول نائيـــــا
فإنـــــه ملتبس مفتـــون وعقله مختبل مجنـــون[5] .

ولم كتفي بذلك بل اتهمهم بالمروق عن الدين الإسلامي والخروج من الملة، واستحداث البدع بعدما سيطر إبليس على سلوكهم، فاستحقوا لقب(الخيانة) في نظر الأخضري، ولشدة التطرف لدى هؤلاء الأدعياء وابتعادهم عن الدين كان موقف الأخضري صارما بأن حذرهم من الزيغ

([1])–القدسية هي منظومة تحتوي على 357 بيتا، وهناك من قال 345 بيتا، وانتهى من تأليفها عام 944هـ، كما هو مؤكد في قوله: في أربع وأربعين قد نجز ***من عاش القرون قل هذا الرجز، صيد، **عبد الرحمن الأخضري**، المرجع السابق، ص 72.

([2])–تبرماسين، **ديوان عبد الرحمن**، المرجع السابق، ص 139–140.

([3])–نفسه، ص.

([4])–عبد القادر عيسى، **حقائق عن التصوف**، ط 4، موقع الطريقة الشاذلية الدرقاوية، حلب، 2001، ص 277.

([5])–دويب، المرجع السابق، ص 89.

والاقتراب من دائرة(الكفر) بعد أن اتخذوا حاديهم شيوخا جهالا زينوا لهم زيغهم وشيطانا حمل لواء انحرافهم تقويضا لأركان الدين الإسلامي ومعالمه السمحة اعتقادا منهم أنهم في خدمة الدين ومحاولة تقريب تطبيقه وتيسيره للناس، وإقناع ضعاف الدين بها[1]، حيث يقول الأخضري:

قد اشرفوا على كهوف الكفر وستروا بدعتهم بالفقر
واتخذوا مشائخا جهالا لتم يعرفوا الحرام من الحلال
لم يقفوا عند حدود الله وسنة الهادي رسول الله
فأعرضوا عن سبل الرحمن واتبعوا مسالك الشيطان
وهدموا قواعد الإسلام واعتبروا خرائف الأوهام[2]

وقال في موضع آخر من (القدسية)، وهو يستهجن هذه المنكرات والإدعاءات مستدلا بأقوال بعض الأتقياء[3]، وأولياء الله الحقيقيين لا المزيفين، ممن أدركوا مقاصد الدين الحقة وفهموا حقائق الشرع المبني على العقائد والشرائع السماوية التي أثبتها قول وفعل وتقرير رسول الله- صلى الله عليه وسلم- واتبعها المصلحون ولم يبتدعوا فيها ضلالة ولا مفسدة:

وقال بعض أولياء الله السالكين بصراط الله
من ادعى مراتب الجمال ولم يقم بأدب الجلال
فارفضه إنما الفتى دجال ليس له التحقيق والكمال[4]

ثم نجده يتعرض للمتصوف الحقيقي فيصفه بقوله:

واعلم بان الولي الرباني لتابع السنة والقرآن
والفرق بين الإفك والصواب يعرف بالسنة والكتاب
والشرع ميزان الأمور كلها وشاهد لأصلها وفرعها
والشرع نور الحق منه قد بدا فانفجرت منه ينابيع الهدى[5]

([1])- دويب، المرجع السابق، ص 89.

([2])-تبرماسين، **ديوان عبد الرحمن**، المرجع السابق، 159-160.

([3])- مصمودي، المرجع السابق، ص 49.

([4])- تبرماسين، المرجع السابق، ص 142.

([5])- دويب، المرجع السابق، ص ص 89، 90.

ثم ينتقل إلى وصف حالة البلاد إذ ذاك، ويصف حالة عصره فيقول:

لاسيما في عاشر القرون ذي الجهل والفساد والفتون[1]

وتأسف على حال العلم والعلماء فيه بقوله :

هذا زمان كثرت فيه البـدع واضطربت عليه أمواج الخدع
وخسفت شمس الهدى وأفلت من بعدمـــا بزغت وكـملت
والدين قد تهدمت أركانـــــه والزور طبـق الهوى دخـــانه
وظلمات الزور والبهتـــــان تزخرفت في جملة الأوطان[2]

ثم يضيف قائلا:

ياويلتي هذا زمان البـــدع مات بــه أهل التقى والـــورع
واحسرتي على الكرام البررة قد أخلفوا بالمدعين الفجـــرة.[3]

إلى أن يكمل قائلا:

وأسفا على الرجال الكاملين قـــد ذهبوا بين العباد خاملين
فستروا بظلمـــات البـدع فـلم يـــبيـن صادق من مدع[4]

فالتصوف في اعتقاد الأخضري ليسس التوسط بالشيخ واتخاذ الحضرة والجذب، ولكنه بإتباع السنة وإجماع الأمة، فالرجل الصالح هو المواظب على الطاعات، وقد تأثر الفكون بثورة الأخضري على الدجل في قصيدته القدسية، فاستشهد ببعض أبياتها في أكثر من موضع، ومنه استوحى تأليفه منشور الهداية، فيقول :"لله در الأخضري في منظومة"، حيث قال:

وقال بعض السادة الصوفية مقالة جليلـــــة صفيـــــة
إذا رأيت رجلا يطيـــــر أو فوق مـــــاء البحر قد يسير[5]

([1])- نفسه ص ص 89، 90.

([2])-تبرماسين، **ديوان عبد الرحمن**، المرجع السابق، ص 143.

([3])-نفسه، ص 143.

([4])- تبرماسين، **ديوان عبد الرحمن**، المرجع السابق، ص 21، 20.

([5])-هلايلي، المرجع السابق، ص 252.

ولم يقف عند حدود الشرع فـــــــــإنه مستدرج وبدعي[1]

ولقد ألف الأخضري القدسية في سن الرابعة والعشرون، وذلك سنة 944هـ، وقد أرخها بقوله:

في أربـــــع وأربعين قد تجز من عاشر القرون قل هذا الرجز[2]

وأولها:

يقول راجي رحمة المقتدر المذنب الذليـــــل الأخضـــــري

بحمد رب العالمين أبتدى ثـــــم صلاته على محمـــــد

يا طالبا من كمال قدسه وقـــــاصدا الى عـــلاج نفســـه

اعلم بأن الجوهر الإنساني وهو الـــــذي يدعونه الروحانى[3] .

ولقد وضع الشيخ الحسين الورثلاني[4]عليها شرحا سماه " الكواكب العرفانية وشوارق الأنسية في شرح ألفاظ القدسية " [5]، ونجد أن الذين يصفهم الأخضري بالدجاجلة والمنافقين يقومون بأداء بعض الحركات الراقصة وتسمى بالحضرة، فقال عنها الفكون "هي لعبة يتخذونها يراؤون بها الناس ولا يستخفون من الله، بها يأكلون ومنها يتمولون وعليها في قضاء أوطارهم يعولون، يجتمعون لذكر المولى جل جلاله، فيغيرون اسمه ويشطحون ويرقصون وربما يتضاربون، فتراهم ككلاب نابحة، ولعابهم كمياه طافحة، وأنفاسهم كنيران نافحة، لا يفرقون بين ومندوب ولا محرم ومكروه، ويعتقدون أن ما هم عليه هو الحق الواضح، والطريق الأقوم الراجح[6].

وقال الأخضري عن الصوفية في هذه الطائفة:

وقال بعض السادة الصوفية مقالـــــــــــة جلية صفية

إذا رأيـــــت رجلا يـــطير أو فوق مـــــاء البحر يسير

([1]) نفسه، ص252.

([2])–تبرماسين، **ديوان عبد الرحمن**، المرجع السابق، ص 165.

([3])–نفسه، ص165.

([4])–ولد الحسن الورتلاني في سنة 1125هـ وتوفي في عام 1193هـ، وكانت رحلته هذه الى منطقة بنطيوس في عام 1765م ويغلب عليها طابع فلسفي صوفي على طريقة الغزالي. مصمودي، المرجع السابق، ص 78.

([5])–طالبي، المرجع السابق، ص 130.

([6])–الفكون، **منشور الهداية**، المصدر السابق، ص 119.

ولم يقف عند حدود الشرع فإنـــــــه مستدرج وبدعي[1]

وقال أيضا:

وأسفا على الطريق السابلة أفسدها طائفة الدجاجلة
قد أحـــدثوا طريقة بدعـة ورفضوا الطريقة الشرعية
يـــاعجبا لرافض الشريعة كيف ادعى درجة رفيعة
فكيـف يرقى سلم الحقيقة مخالـــف لسيد الخليقة[2]

لقد كـان عبـد الـرحمن الأخضـري مـن القمـم العلميـة فـي القـرن العاشـر، وهـذا واضـح مـن المؤلفات التـي ألفهـا فـي عدة مجـالات، ونجـده أيضـا مـن المتصـوفين الحقيقيين، الـذين همهم وهدفهم هو الحفاظ على الدين الصحيح وعلى أسسه القويمة، ورغم ذلك نجد بأنه بعد وفاته قد نسبت لـه عدة خرافات كطـي الأرض أثنـاء نقل جثمانـه إلـى بنطيوس بعد وفاتـه، ولقد أصبح يحاط بهالة من التقديس بسبب هذا النوع من الخرافات وغدا قِبْلَةً لكل زائر من نواحي إفريقيا كلها واشتهر أمره عند الخاص والعام والبدو والحضر[3].

المبحث الثاني: موقفه من السلطة العثمانية بالجزائر:

لاحظنـا فـي هـذه الفترة(القرن العاشـر الهجـري) وجـود تحالفـات كثيـرة بـين السـلطة العثمانيـة والعديد من مشايخ الصوفية والمرابطين، ولقد أدرك الأتراك العثمانيون أنهم أقرب الناس إليهم، لذلك لجأوا إليهم وتبركوا بهم ومنحوهم ثقتهم التامة، ولقد برز هذا التحالف من خلال الالتزام بين الطرفين وذلك لفترة طويلة من الزمن، دامت إلى غاية اندلاع ثورات قامت بها هذه الطرق الصوفية خلال القرن الثامن عشر والذي تلاه[4].

وانتشرت في المغرب الأوسط عدة تحالفات بين العثمانيين والمرابطين حتى عرف أن هناك سياسة عامة متبعة، وهكذا بنيت العديد من الأضرحة والقباب وتسربت الطرق الصوفية من المشرق على المغرب، وظهر الدعاة الحقيقيون والأدعياء المزيفون ينشرون أفكارهم وأورادهم

([1]) الفكون، **منشور الهداية**، المصدر السابق، ص 122.

([2])–تبرماسين، **ديوان عبد الرحمن**، المرجع السابق، ص 159.

([3])–تبرماسين، **عبد الرحمن الأخضري**، المرجع السابق، ص 45، ينظر: الفكون، **منشور الهداية**، المصدر السابق، ص ص 133، 117.

([4])– سعد الله، المرجع السابق،ج 1،ص ص 464،469.

بين الناس وأصبح الحكام يظهرون الاحترام والتقدير لأهل التصوف، وأن العقيدة في رجال الدين من فقهاء ورجال تصوف كانت شديدة عند العثمانيين، فالبحارة العثمانيون كانوا يقصدون عند خروجهم للجهاد البحري الأولياء والصالحين لنيل بركاتهم، وكانوا يطلقون من البحر طلقات معينة تقديرا لهم وذلك عند ذهابهم وإيابهم[1].

كما نجد أن العثمانيون تقربوا إلى المرابطين بوسائل أخرى كبناء المشاهد والزوايا والوقف عليها، وفي نفس الوقت نشير إلى أن بايات بايلك الشرق قد أعفوا عددا من الزوايا والأضرحة من دفع الضرائب، ومنها زاوية عبد الرحمن الأخضري في بنطيوس، وذلك من خلال وثائق دلت على ذلك، مع الاحترام الذي سيحصل عليه، والمكانة الاجتماعية كذلك، وتبقى هذه المكانة إلى أحفاده[2].

ويشير أحد الباحثين إلى وثائق كتبت بعد وفاة عبد الرحمن الأخضري بأكثر من مائة عام، ويوجد عليها أختام لبايات بايلك الشرق، ويدل هذا على احترام العثمانيين لعبد الرحمن الأخضري وعائلته ونسله من بعده على مقامه العالي عند حكام الإيالة[3].

كما يدل على أن صفات المتصوف والزاهد والمرابط الحقيقي قد تجسدت فيه وذلك نظرا لابتعاده عن الدنيا وإتباعه قواعد الدين الصحيحة، ولا ريب أن الذي يطلع بتمعن على قدسيته يدرك ذلك، وعلى هذا المنهاج سار العديد من المتصوفة من بعده، فاتبعوا التصوف الحقيقي، وابتعدوا عن إغراءات السلطة والحكم، ونذكر منهم عبد الكريم الفكون والورثلاني والعياشي[4]

([1])- سعد الله، المرجع السابق ، ج 1، ص ص. 464،469.

([2])-صحراوي، المرجع السابق، ص 198.

([3])- صحراوي، المرجع السابق، ص 198.

([4])- نفسه، ص 198.

الفصل الرابع: الإنتاج الثقافي لعبد الرحمن الأخضري

العلوم الدينية (الفقه، الحديث...)

العلوم العقلية (الحساب، الفلك، المنطق...)

العلوم اللغوية

المبحث الأول: المؤلفات في العلوم الدينية(الفقه، الحديث):

ألف عبد الرحمن الأخضري عدة مؤلفات في مختلف العلوم الشرعية والعقلية ولقد أبدع فيها، لكننا نرى بأنه لم يحاول تفسير القرآن الكريم وهكذا ينتهي القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي(16م) دون أن نسجل تأليف واحدا في تفسير القرآن الكريم في العهد العثماني[1]، ويقول أبو القاسم سعد الله عن الأخضري بأن له قيمة علمية كبيرة وهذا بفضل بعض الأعمال التي كتبها الأخضري وغيره من العلماء، ولولا ذلك لخلا هذا العهد أو كاد يخلو من التأليف في العلوم الحسابية والفكرية ونحوها، ومع ذلك فإن هؤلاء العلماء كانوا يستمدون موادهم من تراث السابقين، وكأن العقول في العهد العثماني قد تحجرت، ومن أهم المؤلفات التي ألفها الأخضري هي كالتالي :[2] .

أولا. القدسية:

تعتبر القدسية من أهم مؤلفات عبد الرحمن الأخضري، فهي منظومة طويلة ألفها الأخضري، وهي تحتوي على ثلاثمائة وخمسة وأربعون(345 بيتا)، وهناك من قال تحتوي على أكثر، أي ثلاثمائة وستة وأربعون(346 بيتا)، ولقد نشرها كاملة الشيخ محمد بن الحاج محمد الهاملي الجزائري في كتابه (الزهر الباسم في ترجمة الشيخ محمد بن أبي القاسم)[3]، والبعض يقول أنها أرجوزة في طبيعة النفس، نظمها الأخضري سنة 944هـ/1537م، وهي تعنى بتهذيب النفس والسلوك وتعالج موضوع التصوف والوعظ والإرشاد الديني والأخلاقي، ولقد تناولت كما يقال آداب السلوك أي سلوك أهل التصوف والمهتمين بشؤون الدين، إذ تركز على نقد وفضح المتصوفة الزائفين والمشعوذين الكاذبين، وأهل البدع الدجالين المندسين في صفوف المتدينين، كما توجه النصح للمريدين وطلاب العلم، لكي يلتزموا بالسلوك السوي في عبادتهم ومعاملتهم[4].

([1])- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي(1500-1830م)**، ط 1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1998، ج 2، ص 16.

([2])- نفسه، ص 404.

([3])- صيد، **عبد الرحمن الأخضري**، المرجع السابق، ص 72.

([4])-الدراجي، المرجع السابق، ص 136.

وقد حظيت هذه المنظومة بشهرة واسعة ووجدت عناية خاصة، فعرفت شروحا[1]عديدة من طرف بعض العلماء واتخذت مقررا دراسيا في العديد من المعاهد والزوايا بالمغرب العربي الإسلامي، وهناك من حفظها واستظهرها عن ظهر قلب[2]، وطبعت القدسية بمصر سنة 1348هـ، ومن بين ما جاء فيها:

يقول راجي رحمة المقتدر المذنب العبد الذليـل الأخضري
بحمد رب العالمين أبتدي ثـــم صـــلاته على محـــمد
يا طالبا علا كمال قدسه وقاصـــدا إلى علاج نفســـــه
اعلم بـأن جوهر الإنســان وهو الذي يدعونه الروحـــــاني
منشؤه في العـــالم العلوي مستودع فـــي القالب الجسمـــي[3] .

وما تميزت به القدسية هو أن الأخضري لم يطلق عليها تسمية كما هو شأنه في سائر منظوماته، ويبدوا أن من تلقوها عنه أو وقعت في أيديهم، سموها كذلك، لأن موضوعها الأساسي صوفي يهدف إلى تقديس النفس الإنسانية بمعنى تطهيرها من الآفات والكدورات والارتقاء بها إلى سمو الطاعة والاستقامة لله رب العالمين، وقد يكون وقع استنتاج اسم منظومة القدسية أيضا من البيت السابع منها، حيث يقول فيه الأخضري :[4]

فهـــــذه الجوهرة النفسيـــة فالأصل في الدائرة القدسيـــة[5] .

وتعتبر القدسية خامس عمل، أي تأليف مؤرخ له[6]، وقسمها إلى ثلاثة فصول؛ الفصل الأول ذكر فيه ما لقيه من العلماء والصلحاء المقتدى بهم، والفصل الثاني ذكر فيه المتشبهين بالعلماء، والفصل الثالث تطرق فيه إلى المبتدعة الدجاجلة الكذابين، الذين شوهوا الطريقة الصوفية الصحيحة، وفي الختام ذكر إخوان العصر وما هم عليه، ونجد أن عبد الكريم الفكون قد تطرق لشرح هذه الفصول من القدسية، حيث لم يكتف بعرض الأوصاف

([1])–لقد طبعت في القاهرة سنة 1348هـ/1929م، كما أهتم بعضهم بشرحها بغرض تقريب فكرتها وتبسيطها للقراء، ونجد أن الحسين الورثلاني أحد الشارحين لها وسماها " الكواكب العرفانية والشوارق الأنسية في شرح ألفاظ القدسية" ينظر: نفسه.

([2])–صيد، **معجم أعلام**، المرجع السابق، ص 28.

([3])–عبد الرحمن بن سعيد الأخضري المغربي، **منظومة في التصوف**، د ط، د د ن، د م، دس، ص 44.

([4])–صيد، **عبد الرحمن الأخضري**، المرجع السابق، ص 73 .

([5])–الأخضري المغربي، المرجع السابق، ص 44.

([6])– صيد، **عبد الرحمن الأخضري**، المرجع السابق، 73.

التي ينكرها الشرع، بل شخص المتصفين بها، وأفرد لكل واحد منهم ترجمة لحياته العامة والخاصة ومعظم من تعرض لهم معاصروه، أو من سبقهم بمدة زمنية، والكثير منهم له بهم علاقة القرابة أو التتلمذ[1].

واستهل الأخضري القدسية بالبيت الأول، الذي يعلن فيه أنه طامع في رحمة المقتدر وهو يقصد الله سبحانه وتعالى، لأن المقتدر اسم من أسماء الله الحسنى، وفي البيت الثاني يعلن بدئ عمله بحمد رب العالمين ثم الصلاة على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم:

يَاطَالِباً عَلَى كَمَـــالِ قُدْسِهِ[2] وقَـــاصِدًا إلَى عِلاَجِ نَفْسِه[3]

ففي هذا البيت يستعمل الناظم أسلوب النداء الموجه إلى من سعى في درب كمال طهارته ونزاهته، وعمل في سبيل تحقيق أسباب علاج نفسه، فيقول يا راغبا في الطهارة التامة والنقاء من الشوائب والأدران الدنيوية ويا من فضل الاتجاه تطبيب نفسه المريضة ومداواتها من الآفات والمهالك:

اعلـم بـــأن الجوهر الإنساني هو الذي يدعونـــــه الروحي

منشأه فـــي العـــــالم العلوي ومودع في القـــالب الجسمي

لأنه في الأصل من جنس الملك فصار مركوزا في عالم الحلك[4]

ويصف عبد الرحمن الأخضري القدسية بأنها منظومة فيها أوصاف طهارة وقدسية، إذ يقول عنها أنها جوهرة نفسية أي مستمدة من الجوهر النفسي الروحاني، وتستمد أصولها من دائرة قدسية وطاهرة، وتلك الدائرة هي دائرة التطهير والكمال ولا يعيق تمامها وكمالها إلا الاتصال أو المواصلة، وهي المعرفة والمشاهدة[5].

([1])– دويب، المرجع السابق، ص 93.

([2])– نقول كمل الشيء كمولا أي تمت أجزاؤه أو أوصافه....وكمل الشيء كمالا، أي ثبتت فيه صفاة الكمال، وأكمل الشيء بمعنى أتمه، الدراجي المرجع السابق، ص 140.

([3])– النفس هي الروح حسب أشهر الأقوال ولكن هناك من يفرقون بينهما فيرون أن معنى النفس يتضمن معنى الجوهرية الفردية، مفهومها أغنى من مفهوم الروح وأن مجالها أوسع من مجال الشعور، وأن الروح جسم والنفس غير جسم حسب قولهم وأن الروح في البدن وأن النفس لا يحويها البدن، نفسه، ص 141.

([4])–الدراجي، المرجع السابق، ص 141.

([5])–نفسه، ص143، ينظر، محمد العربي بن قشوط، **كتاب الإرشاد إلى سبيل الرشاد**، تح: عبدالرحمن دويب، ط خ، دار كردادة، الجزائر،2013، ص ص 66-67.

ثانيا. مختصر العبادات في الفقه المالكي:

يعتبر كتاب مختصر العبادات في الفقه المالكي، وهو كتيب نثري صغير في فقه مذهب الإمام مالك السائد في بلاد المغرب العربي الإسلامي، ويعرف كذلك بـ (مختصر الأخضري)، وإلى الآن يعتبر هذا المختصر وشروحه المختلفة واسعة الانتشار في أقطار عديدة من بلادنا العربية والإسلامية، لاسيما في زوايا العلم بإفريقيا والمعاهد والجامعات الإسلامية، كالقرويين[1] بالمغرب الأقصى، والزيتونة بتونس، والأزهر بمصر[2]،

و بمعاهد أواسط إفريقيا وبلاد الشام، نظرا لاشتماله على القواعد الأساسية للفقه المالكي بأسلوب مبسط ومختصر، وقد زاد في انتشاره طبعه عدة مرات في المطبعة الثعالبية[3].

ولقد افتتح الأخضري هذا المختصر، الذي ألفه بالحمد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم: "أول ما يجب على المكلف تصحيح إيمانه ثم معرفة ما يصلح به فرض عينه كأحكام الصلاة والطهارة والصيام ويجب عليه أن يحافظ على حدود الله ويقف عند أمره ونهيه ويتوب إلى الله سبحانه قبل أن يسخط عليه "وقال في آخره: "وإذا سلم الإمام قبل كمال الصلاة سبح به من خلفه، فإن صدقه كمل صلاته وسجد بعد السلام، وإن شك في خبره

([1])–يقع جامع القرويين بفاس بالمغرب الأقصى وهي أقدم جامعة في العالم، وبنيت كمؤسسة تعليمية لجامع القرويين ولقد قامت ببنائه السيدة فاطمة بنت محمد الفهري القيرواني عام 245هـ/859م، بفاس وتعتبر أول مؤسسة علمية اخترعت الكراسي العلمية المتخصصة والدرجات العلمية في العالم، تخرج منها العديد من العلماء الغربيين، عبد الهادي التاري، **جامع القرويين**، ط 1، دار المعرفة، المغرب، 200، ص 46.

([2])–هو من أهم المساجد في مصر ومن أشهر المساجد في العالم الإسلامي، وهو جامع وجامعة، ولقد أنشئ على يد جوهر الصقلي وهو قائد فاطمي رومي من أصل يوناني من جزيرة صقلية، عندما تم فتح القاهرة سنة 970م، وذلك بأمر من المعز لدين الله وهو أول خليفة للفاطميين بمصر وبعدما أسس مدينة القاهرة شرع في إنشاء الجامع الأزهر ووضع الخليفة المعز بالله حجر أساس الجامع الأزهر في 14 رمضان 361هـ–970م، وبعد إتمامه كتب جوهر بدائرة قبته ما يلي:"مما أمر ببنائه عبد الله ووليه أبو تميم معد الإمام المعز لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الأكرمين على يد عبده جوهر الكاتب وذلك في سنة ستين وثلاثمائة"، فمن هذا يتبين أن الأزهر هو أقدم جامعة عالمية، ولقد اكتسبت القاهرة لقب مدينة الألف مئذنة، واختلف المؤرخون في أصل تسميته، وهناك من قال بأنه تيمنا بفاطمة الزهراء ابنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وإشادة بذكراها.المهدي البوعبدلي، **مراسلاته مع الشيخ البشير محمودي**، تح: عبد الرحمن دويب، ط 1، عالم المعرفة، 2013، الجزائر، ص 51–52.

([3])– هذه المطبعة لصاحبها رودوسي قدور بن مراد التركي بالجزائر سنة 1324هـ، وهناك طبعة أخرى طبعت بمطبعة المنار في تونس سنة 1374هـ تتكون من 42 صفحة من الحجم الغير، ولقد قام الأستاذ نور الدين عبد القادر الجزائري بترجمة(مختصر الاخضري في العبادات) إلى اللغة الفرنسية سنة 1957م، ولقد أعيد طبع المختصر مرة أخرى في بيروت بلبنان بدار حزم الطبعة الأولى سنة 1420هـ/2009م من تقديم وتحقيق الشيخ بشير ضيف بن أبي بكر، ينظر: مصمودي، المرجع السابق، ص 135.

سأل عدلين وجاز لهما الكلام في ذلك، وإن تيقن الكمال عمل على يقينه وترك العدلين، إلا أن يكثر الناس خلفه فيترك يقينه ويرجع إليهم "[1].

وافتتح مؤلفه بالحمد لله والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا على غرار جملة منظوماته وقصائده، ثم تطرق إلى موجبات الإيمان والى ضرورة تعلم الإنسان المكلف(البالغ) لأحكام الطهارة والصلاة والصيام ومعرفة حدود الله عز وجل وضرورة التوبة المستمرة إليه وشروطها وحفظ الألسنة من المنكرات والابتعاد عن الكلام الفاحش البذيء، وحفظ البصر من النظر إلى الحرام إلى جانب تذكير القارئ بتحريم الكذب، والغيبة والنميمة والحسد والعجب مع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مستدلا بالعديد من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة[2].

ولقد قُسِم المختصر من طرف عبد الرحمن الأخضري إلى فصول رئيسية في الفرائض، حيث شملت: الطهارة، النجاسة وفرائض الوضوء السبعة، سنن الوضوء وفضائله، نواقضه، وما يحل وما لا يحل لغير المتوضأ، والغسل وشروطه وفرائضه وسننه وفضائله، ومبحث حول تحريم دخول الخبث إلى المسجد، التيمم وفرائضه وسننه وفضائله ونواقضه، الحيض، النفاس وغيره، ثم ينتقل إلى الصلاة، حيث قسم مبحثها إلى فصول أساسية منها: الأوقات، شروط الصلاة، فرائضها، سننها وفضائلها والتفريط فيها نورها، أحوالها السبعة كما جعل بابا خاصا للسهو[3].

ويعتبر الشيخ محمد عبد اللطيف بن المسبح المرداسي القسنطيني[4] أحد المعاصرين للأخضري، ومن أهم الذين أولوا عناية فائقة بشرح (مختصر العبادات) للأخضري، حيث نجده خصه بشرح واف سماه(عمدة البيان في معرفة فروض الأعيان)، وقد عمد الشيخ ابن المسبح إلى إنجاز هذا العمل لما رأى عدم شرحه من طرف العلماء والفقهاء، وفي ذلك قال

([1])–صيد، **عبد الرحمن الأخضري**، المرجع السابق، 76، ينظر: أبي زيد عبد الرحمن بن محمد الصغير الأخضري، **مختصر الأخضري في العبادات على مذهب الإمام مالك**، ط 3، مطبعة مصطفى حلبي، مصر، 1955، ص14.

([2])–صيد، المرجع السابق، ص 76.

([3])– مصمودي، المرجع السابق، ص ص 135، 137.

([4])– هو عبد اللطيف بن المسبح المرداسي أبو محمد(توفي سنة 980هـ–1572م) وهو فقيه تولى الإفتاء بقسنطينة، وكان مرجعا في الفقه، له آثار أهمها شرح مختصر الاخضري في العبادات، وشرح على الدرة البيضاء، لفكون، **منشور الهداية**، المصدر السابق، ص 46.

:"وبعد فإنني قصدت بهذا التعليق شرح المختصر للشيخ الفقيه العالم العلامة ولي الله سيدي أبي زيد عبد الرحمن الاخضري رحمه الله، لأنه قد اشتمل على المهم من أمور الديانات ملخصا من شوائب الاختلافات ولم نقف على من شرح من الفقهاء ألفاظه، فأردت حينئذ أن أبين ما اشتملت عليه فصوله وأبوابه شرحا يكون كافيا لنا في تحصيل الغرض لنعلم بذلك ما سن الله تعالى علينا وافترض وسميته بعمدة البيان في معرفة فروض الأعيان[1] .

وقد طبع هذا الشرح بمطبعة التقدم العلمية بالقاهرة وبهامشه الأجوبة الصغرى للإمام أبي محمد عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي، كما طبع قبل ذلك بمطبعة التوفيق الأدبية بالقاهرة عام 1343هـ على نفقة التاجر إبراهيم الطوبي، كما قام الشيخ عبد الكريم الفكون الملقب بشيخ الإسلام بشرح (مختصر الأخضري) بعدما لم يستسغ ما قام به الشيخ ابن المسبح، فقال: " له شرح على مختصر الشيخ الصالح سيدي عبد الرحمن بن صغير، طالعناه زمن الشبيبة فرأينا عماده على جمع الكتاب والنقل منها فحسب لا يلم بلفظ المصنف "[2].

وهذا يعني أنه قرأ في صغره شرح عبد اللطيف بن المسبح على مختصر الأخضري في الآداب العامة، وانتقد طريقته ورأى أن يقوم هو بوضع شرح جديد للمختصر المذكور وسماه(الدرر على المختصر)، وذكر أنه يحتوي"على فوائد فيه لم توجد في المطولات ونكت حسان قل أن تلقى في غيره، وتنبيهات أخذها من فحوى خطابه وفروع كملنا بها لم يفصح بها كلامه[3] .

كما ذكر شرحه في كتابه (محدد السنان في نحور إخوان الدخان) عند حديثه عن محمد السنوسي المغربي بقوله: "وهو صاحب الوقائع التي نقلنا بعضها عند الكلام عليها في تأليفنا المسمى بالدرر على شرح المختصر للشيخ الصالح أبي زيد عبد الرحمن بن صغير "[4].

([1])- صيد، **عبد الرحمن الأخضري**، المرجع السابق، ص 76.

([2])-الفكون، **منشور الهداية**، المصدر السابق، ص 46.

([3])-أبو القاسم سعد الله، شيخ، **الإسلام عبد الكريم الفكون**، دط، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1986، ص 147.

([4])-مصمودي، المرجع السابق، ص 138.

أما الشيخ صالح بن مهنا القسنطيني[1]، فقد قام بتكملة الناقص من المختصر، وقد جاء في اثنا عشر صفحة ونصف(12 صفحة ونصف)، حيث يذكر الأستاذ سليمان الصيد أن المختصر وصل فيه العلامة الأخضري إلى قوله"وترك العدلين إلا أن يكبر الناس خلفه فيترك يقينه ويرجع إليهم "، وقد ابتدأ الشيخ ابن مهنا هذه التكملة بقوله: "بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم –فصل–وصلاة النافلة مستحبة في كل وقت يجوز في النفل ويتأكد الاستحباب بعد صلاة المغرب وبعد الظهر وقبلها وقبل العصر والضحى وتحية المسجد والتراويح وقيام الليل وركعتان عند الخروج إلى السفر وعند القدوم منه"[2].

وقال في آخر هذه التكملة "وقال صلى الله عليه وسلم"ما بين قبري ومنبري روضة من رياض من رياض الجنة"، وقال صلى الله عليه وسلم"من زارني بالمدينة محتسبا كنت له شهيدا وشفيعا يوم القيامة"، وقال صلى الله عليه وسلم"صلاة في مسجدي خير من ألف صلاة فيما سواه"، إلا المسجد الحرام وهذا آخر ما قصدناه من التكملة لمختصر الإمام العالم الرباني الولي الصالح سيدي عبد الرحمن الأخضري رحمه الله تعالى ونفعنا به وبعلومه آمين" [3] .

ويقول أحد العلماء الذين استفادوا من هذه الشروحات وأناروا بها دروب الذين وقعوا ضحية الجهل، فقال: "إنه قد ظهر في بلادنا شرذمة متشدقة، أقال عثراتنا وعثراتهم رب البرية، وقعوا في أعراض لعلماء أئمة الإسلام المتقين البررة، لأجل ما ألفوا من الكتب في المسائل والفروع الفقهية المقررة، تبيانا لما جاء في الكتاب والسنة المطهرة وما أجمع عليه الصحابة والتابعون وتابعوهم قادة الأمة الإسلامية المتحررة "[4].

([1])–صالح بن مهنا الأزهري القسنطيني ولد ما بين (1271–1328هـ/1854–1910م)، وهو عالم سلفي من رواد الحركة الاصطلاحية، الذين حاربوا البدع، ولد في قرية العشرة كركرة من نواحي القل، ونشأ بقسنطينة وتعلم بها وبتونس ثم انتقل إلى القاهرة وتعلم بالأزهر، وعاد فاشتغل بالتدريس في قسنطينة.، عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، ط1، دار الأبحاث للنشر، الجزائر، 2013،ص 501.

([2])–مصمودي، المرجع السابق، ص 140.

([3])– نفسه.

([4])–سعد بن عمر بن سعيد جلياتوري الفوتي، **حل المسائل في شرح مختصر الأخضري بالدلائل**، دط، سيفو جمهورية مالي، 1971، ص ص3–4.

وقال في موضع آخر سبب كتابته لهذه الشروح، فقال:"فعزمنا بعد تردد وإحجام وتقهقر وإقدام، لما فينا من ضعف وقصور، وعجز وفتور أن نجمع شرحا وجيزا لمختصر الأخضري للشيخ عبد الرحمن الأخضري، أجزل الجواد العلى ثوابه"وبعدد قليل من دلائل وفروع ومسائل نقلا عما قاله وكتبه في مثلها العلماء والأوفياء، وما قرره في نظائرها المحدثون والفقهاء والأمناء، ونبين به أن الكتب الفقهية ليست إلا شروحا وتفاسير لأحكام الكتاب والسنة وإجماع العلماء، عسى الله أن يرجع به الاطمئنان إلى نفوس المتعلمين البواسل ويبعث به السكينة والثبات إلى قلوب المعلمين الأفاضل، ويذود به المؤذين الواقعين في أعراض الفقهاء الأبرياء الكملة، ويسكت به شقشقة المقتحمين الجهلة إراحة لقلوب المخلصين الخيرة "[1].

المبحث الثاني: المؤلفات في العلوم العقلية:(المنطق، الحساب، الفلك):

لقد ألف عبد الرحمن الأخضري في علوم أخرى غير الأدبية والدينية، فنجده قد ألف كذلك في العلوم العقلية، كالمنطق والحساب والفلك والطب، وهذه العلوم كانت منتشرة في عصره ومتداولة وهي كالآتي:

أولا. السراج في علم الفلك:

السراج هو عبارة عن منظومة في علم الفلك، ألفها وعمره تسعة عشر عام(19سنة)، وكانت هي أولى فواتحه وبواكره في عالم التأليف والإبداع، وكان ذلك في حدود عام 939ه الموافق لـ1532م، وقد احتوت على مائتان وستة وتسعون بيتا(296بيتا)، ورغم شرحها من طرف العديد من العلماء، فهي لم تلق رواجا كبيرا كالقدسية والجوهر المكنون، ولقد قام بشرحها تلميذ الأخضري، وهو عبد العزيز بن أحمد إبن مسلم الفارسي[2].

وقام سحنون بن عثمان الونشريسي[3] بشرحها وأعطاها عنوانا آخر وهو: مفيد المحتاج في شرح السراج، وطبعت مرتين الأولى في مصر سنة 1314ه/1906م، والثانية في الجزائر بالمطبعة الثعالبية سنة 1328ه/1910م، وفي القرن الحادي عشر هجري تولى

([1])-جلياتوري، المرجع السابق، ص 4.

([2])-الدراجي، المرجع السابق، ص313.

([3])-هو العباس أحمد بن يحي بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي، ولد عام(834ه/1430م وتوفي عام914ه/1508م)، له عدة مؤلفات في الفقه وغيره من العلوم الشرعية. ناصر الدين سعيدوني، **من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي**، دار الغرب الإسلامي، ط1، لبنان، 1999، ص 285، 277، ينظر: صحراوي، المرجع السابق، ص181.

شرحها مؤلف مجهول وجعل عنوانها(شرح الرضى على نهاية ما يرتضى) [1]، وقيل أنه يحتوي على حوالي أربعين صفحة[2].

وهناك شرح رابع لمتن السراج، وهو مخطوط من تأليف الشيخ محمد الصالح الرحموني الزواوي[3]سماه(جواهر المحتاج في شرح السراج) ضمنه شرح الونشريسي مع زيادات، وقد عثر على نسخة من هذا الشرح في مكتبة العائلة العثمانية[4] بطولقة[5]، تقع في سبع وعشرين(27) ورقة من الحجم المتوسط، إلا أنها غير كاملة، ويفتتح الأخضري منظومته هذه بما يلي:

الحمد لله العلي الحق المالك الوهاب رب الخلق
نحمده جل على الأنعام بنعمة الإيمان والإسلام
ثم الصلاة على محمد خير الورى المشرف الممجد
وآله وصحبه وعترته وكل من وقره من أمته
وبعد فأعلم أن علم الفلك علم عزيز من أجل مسلك
أعني الذي تدري به الأوقات والفجر والقبلة والساعات
وما به تطرق للغيب فذلك الحرام دون ريب
وأعلم بأن العلم بالنجوم علم شريف ليس بالمذموم
لأنه يفيد في الأوقات كالفجر والأسحار والساعات
وهكذا يليق بالعباد حين قيامهم إلى الأوراد

([1])–صيد، **عبد الرحمن الأخضري**، المرجع السابق، ص86.

([2])–سعد الله، **تاريخ الجزائر**، المرجع السابق، ج 2، ص 407.

([3])–هو العلامة محمد الصالح بن سليمان بن محمد بن ابي القاسم الرحموني الزواوي نسبة إلى أولاد رحمون الشرفاء، درس بالزيتونة، ولما عاد منها اشتغل بالتدريس في جرجرة، توفي سنة 1242 وعمره نحو 90 عام وله تآليف كثيرة، ابو القاسم محمد الحفناوي، **تعريف الخلف برجال السلف**، دار بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906،ج 1، ص522.

([4])––صيد، **عبد الرحمن الأخضري**، المرجع السابق، ص86.

([5])–تنتمي دائرة طولقة لولاية بسكرة يحدها من الشمال ولاية باتنة، ومن الشرق دائرتي لوطاية وبسكرة ومن الجنوب دوائر أورلال، فوغالة وأولاد جلال، أما من الغرب فنجد ولاية المسيلة، تبلغ مساحتها 1335كلم^2، تتكون من أربع بلديات هي :طولقة، بوشقرون، برج بن عزوز، ليشانة. للمزيد من المعلومات ينظر: معلم صلاح الدين، **الموارد المائية واستعمالاتها بدائرة طولقة(ولاية بسكرة)**،مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في تهيئة الأوساط الفيزيائية(المياه والتهيئة)، قسم التهيئة العمرانية، كلية علوم الأرض جامعة منتوري، قسنطينة، 2010–2011، ص 9.

فليس يدري جاهل ما قد قضى في الليل جملة فربمـــا أنقضى
فهاك منه ضـــابطا من سلك سميته السراج في علم الفـــلك[1]
وقد بدأت ياأخي هذا الكـــتاب بنبـــذ لطيفة من الحســـاب
وإنمـــــا بـــــالله أستعين بـــــأنه المهيمن المـــعين[2]

ثانيا. منظومة الدرة البيضاء:

منظومة الدرة البيضاء هي أرجوزة في التركات والحساب، نظمها سنة 940هـ، وهو ابن عشرين عاما يوم كان تلميذا على يد والده، وكان الفراغ، أي الانتهاء منها في شهر رمضان سنة 947 هـ، وتحتوي على خمسمائة بيت، حيث يقول الأخضري عنها:

أبياتها زادت على التسعين من بعد أربـــع من المئين[3]

ولقد قسم الأخضري منظومته إلى ثلاثة أقسام، القسم الأول في الحساب والثاني في الفرائض والثالث في تصحيح الفروض، وتوضيح القسمة الصحيحة للزكاة[4]، وكان قد بدأ بشرحها غير أنها سرقت منه في منطقة المقران وأعيدت إليه ثم أتم شرح الأجزاء التي شرع فيها بزاوية تفلفال، ويقول الأخضري في هذه الحادثة "وقد وضعنا قبله شرح جملتي الحساب والعمل بسنين متعددة، فلما أكملناها أبتلينا في إحدى المناطق القريبة من بلده بالطائفة المرتدة، عليهم لعنة الله فسلبوهما مع شيء من الكتب فصرفتنا صوارف الأقدار بعد ذلك عن الإعادة حتى رده الله تبارك وتعالى بفضله مع شيء من الكتب بسبب مصادفة بعض الإخوان في أرض ريغ[5]، جزاهم الله خيرا.

([1])–عبد الرحمن الأخضري، **متن السراج في علم الفلك والأبراج**، د ط، د د ن، دت، ت، د ب، ص 3.

([2])–الدراجي، المرجع السابق، ص314.

([3])– أبي عبد الله محمد الدرناوي، **شرح الدرة البيضاء**، دار التقدم العلمية، دط،، 1325هـ، مصر، ص 210.

([4])–القويسني، المرجع السابق، ص ص 10–11.

([5])–يقع إقليم وادي ريغ في الشمال الشرقي من الصحراء الجزائرية، في منخفض مستطيل الشكل طوله حوالي 160كلم وعرضه يتراوح بين30و40كلم شمالا، من عين الصفراء قرب بلدة أم الطيور، وينتهي جنوبا بقرية القوق، قرب بلدة عمر جنوب تقرت، وعموما فإن إقليم وادي ريغ يحده من الشمال شط ملغيغ، ومن الجنوب ورقلة، ومن الشرق العرق الشرقي الكبير، ومن الغرب منحدر حصوي، وهضبة وادي ميزاب، وتتميز منطقة وادي ريغ بموقعها الإستراتيجي بإعتبارها حلقة وصل بين الجنوب الشرقي والشمال الشرقي للقطر الجزائري، عبد الحميد إبراهيم قادري، **التعريف بوادي ريغ(تقرت)**، ط 1، منشورات جمعية الوفاء للشهيد، 1998، ص 1.

فدعاني كثير من الأخوان إلى إتمامه بشرح الفقيه، فلم يتيسر إلا في بعض زوايا الجبال عمرها الله تعالى وزكاها " [1].

ويؤكد أبو القاسم سعد الله أن القسم الأول والثالث قد لا يكون عبد الرحمن الأخضري هو الذي شرحهما، وأن القسم الثاني كتبه الأخضري بنفسه، وقد نصت طبعة القاهرة سنة 1891 م للدرة البيضاء على أن القسم الثاني قد شرحه بنفسه وأيضا القسم الثالث ماعدا الفصول الثلاثة الأخيرة، أما القسم الأول، فقد نصت على أن الأخضري لم يشرحه، ولكنها لم تذكر من شرحه، وقد يكون من شرحه هو عبد اللطيف المسبح المرداسي قد شرحها أي الدرة، أو على الأقل أكمل ما لم يشرحه الأخضري منها[2].

ويقول الفكون عن الدرة البيضاء بأنها تختص بعلم الفرائض والحساب، فهي في غاية الحسن[3]، ويقول أبو عبد الله الدرناوي: "هذه كلمات وجيزة وتعليقات رائقة تتعلق بشرح الدرة وبمتنها ينتفع بها المبتدئ، ويتذكر بها المنتهى وتشحذ ذهن القاصر، وتشرح صدر الذكي وتفرج الخاطر، وذلك لما رأيت احتياجهما لذلك مع شدة تعاطيهما، فجاءت بحمد الله طبق المراد والله الموفق " [4]، حيث أن هذا التأليف، أي الدرة البيضاء كان نتيجة الاعتماد على الدروس الشفهية التي أخذها عن والده[5] .

ولقد قسم الأخضري الدرة إلى ثلاثة أجزاء رئيسية (الحساب، التركات، القسمة) وافتتحها بالثناء على الله والصلاة على النبي كعادته حامدا الله عز وجل نعمه التي لا تعد ولا تحصى فقال:

الحمد لله الـــعليم الوارث الدائم الفرد القديم البـــاعث
نحمـده كـــثيرا دائمـــــا وخالصا من كل شوب ســـالما
على جزيل نعـــم لا تحصى ممـــا به فضلنا وخصـــــا
من النبي المصطفى المختار من أشرف الأنســـاب والأخيـار

([1])–مصمودي، المرجع السابق، ص 100.

([2])–سعد الله، **تاريخ الجزائر**، المرجع السابق، ج 1، ص86.

([3])–الحسن بن محمد الورثلاني، **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، دط، دار بير فونتانا الشرقية في الجزائر، 1908، ص87.

([4])–الدرناوي، المرجع السابق، ص 02

([5])–طالبي، المرجع السابق، ص 125.

محمد خير الورى المفضـــل السيـــــد الممجد المـــكمل
صلى الله عليه ما خط القـــلم وما جرى بحر السحاب وانسجم[1].

ولقد بين في هذه الأبيات أهمية علم الفرائض والمواريث باستعمال أسلوب بارع في الاستهلال لإشعار الأول بالإرث، الذي فيه الكلام وفيمن يرث، وما مقدار الإرث وكيفية قسمته على أربابه والمتكفل بالأول الفقه وبالثاني الحساب، لأنه باحث عن العدد والفردية من عوارضه، والأخيرين بموت الخلق الناشئ عنه البعث المترتب على الموت والإرث وما للعباد قبل فناء جميعهم[2].

وهذا وإن أحسن المقاصد وأحسن الفنون والفـــوائد
فن الفرائض الذي تعلقا بالإرث فلتكن بـــه محققا
فهاك منه ضابطا مهذبا منظمـــــــا مختصرا مقربا
(سميته) بالدرة البيضاء من أحسن الفنون والأشياء[3]

وأما التقسيمات لهذا التأليف فهي كالتالي:

القسم الأول يشرح العمليات الحسابية الأربع (الجمع، القسمة، الطرح، الضرب) وحل الأعداد والكسور وأعمالها والأرقام الغبارية وفروعها، مع تبيان أبوابها وأشكالها بأسلوب مبسط حتى يسهل على الطلبة والتلاميذ حفظها وتطبيقها، وهي تقع في مئة وثلاثون(130 بيتا) ومنها:

فأول الفنون في الحساب مرتب الفصول والأبواب
أبوابه سبع بالاختصار وهي على طريقة الغبـــار
فأول الأبواب في أشكالـها ومـــــــــاله تعلق بحـاله
والجمع ثم الضرب ثم الطرح وقسـتمة تسميـــــة وشرح
وبعدما أتيت بالمـــــذكور ألحقت جملة من الكـــسور
وإن سأل الإله في الإعانة على الذي قصدت والإصانة[4]

([1])-الدرناوي، المرجع السابق، ص ص.3-4.

([2]) نفسه، ص 3.

([3])-عمار المختار بن ناصر الأخضري، **الضياء على الدرة البيضاء في الفرائض**، دار الرشيد، ط 2، المدينة المنورة، 1990، ج1، ص 6.

([4])-الدرناوي، المرجع السابق، ص 7-8.

يعني أن الحساب يحتوى على سبعة أبواب(الباب الأول) في صور حروف الغبار[1]التي يشرح فيها ماهية هذه الحروف وكيفية شكلها وفيما يتعلق بها ككون مرتبة الآحاد هي الأولى والثانية هي العشرات والثالثة هي المئون (المئات) وبعدها تتبدل الأعداد، حيث تصبح الآلاف كالآحاد وفي ذلك يقول:

حروفه معلومة مشهـــورة من واحـــد لتسعة مذكورة

وجعلوا صفرا علامة الخـــلا وهو مدور كحـــلقة جلا [2]

ومن خلال البيت الثاني نجده يصف فيه الناظم الصفر على أنه(مدور كحلقة)، ومن هنا يتبين لنا أن الأرقام التي كانت متبعة في المغرب الأوسط أيام الأخضري هي الأرقام العربية المعمول بها الآن، و ليست الأرقام الهندية المعتمدة في المشرق العربي الإسلامي، والتي يكون الصفر فيها عبارة عن نقطة، وبعد الحديث عن حروف الغبارى ينتقل، الأخضري مباشرة مبديا قدرة كبيرة على النظم، فيصف عملية الجمع بالشكل المبسط نفسه، فيقول في الباب الثاني الذي خصصه للجمع:

والجمع ضم عدد لعدد لـــــــــكي تعده بلفظ مفرد

فتجمع الآحاد لـــلآحاد وهكذا الباقي على التمادي[3]

وعملية الجمع التي شرحها الأخضري وبسطها هي عبارة عن ضم عدد معين لعدد آخر، بحيث ينطق بعد ذلك بصيغة المفرد، مثل اثنان زائد ثلاثة تساوي خمسة، فتأتي النتيجة مفردة أي خمسة وذلك بعد أن قدمت في البداية في شكل عددين هما اثنان وثلاثة، ثم يسترسل بعدئذ في وصف الكيفية التي تمت بها عملية الجمع، وذلك بإضافة كل رتبة إلى مثيلتها(الآحاد للآحاد والعشرات للعشرات والمئات للمئات والآلاف للآلاف)، بحيث توضع نتيجة كل رتبة إن كانت دون التسعة تحت أختها، وما كان فوق التسعة يضاف للرتبة

([1])-**حروف الغبارى** أو الحروف الغبارية، وهي تسمى أيضا بالأعداد السنسكريتية وهو محرف عن(الجوبار)، وهو إقليم معروف بالهند، واستقر رسمها(5، 4، 3، 2، 1) وتكتب مسايرة للقلم الغربي من اليسار على اليمين آخذة شكله الهندسي لا غير، ينظر: أحمد مطلوب، **الأرقام العربية**، مؤسسة الرسالة، ط 2، بيروت، 1983، ص15. وكذلك: هزاع الشمري، وقاسم السامرائي، **الأرقام في المشرق عربية النجار وفي الغرب الأوروبي سنسكريتية هندية الدثار**، دط، د د ن، دت، د م، ص6.

([2])-الدراجي، المرجع السابق، ص 57-58.

([3])-نفسه، ص ص 57، 58.

الموالية كأن يضاف الفائض عن الآحاد إلى العشرات، والفائض عن العشرات يضاف إلى المئات؛ وهكذا حتى تنتهي المراتب المقصودة بالجمع، وفي هذا قال الأخضري :[1]

ضف كل رتبة إلى الموضوع من تحتها وأنظر إلى الموضوع
فإن يكن تسعا فأدنى فلتضع جملته فوق الذي منـــه أجتمع
ومـــــا زائـــدًا عليـــــها فانزل به تحت الذي تلـــيها
واجمعها مع أعدادها بالضبط فخارج ما كان فوق الخـــط[2]

هذا في الأعداد من واحد إلى تسعة، أما في حال جمع عدد منها إلى صفر فالنتيجة لا تتغير عن قيمة العدد المذكور، أما إذا جمع صفران إلى بعضهما فالنتيجة تكون صفرا من الصفرين، وهكذا دواليك في كل الحالات فيقول :[3]

وإن جمعت عـــــددا لصفر فاقنع إذا بعدد لتـــدري
وإن جمعت هاهنا صفريـــن فاقنع بواحـــــد من الاثنين
وإن تكرر الذي قد نـــــــزلا به لكون الجمع قد تسلسلا
فاجمعه مع أعداد ما به عرا من دون تغيير له كما جـــرى[4]

ويتبين لنا من خلال ما أنجزه العلامة عبد الرحمن الأخضري في هذه المنظومة وغيرها من المتون بأنه يضع قواعد جاهزة للحفظ؛ قصد استيعاب العلم المراد تعليمه وهذا لا يتناقض مع الطرق البيداغوجية المعمول بها حديثا، إذ يخصص في الكتب المدرسية الحالية فقرة أو فقرات لكل درس ويطلب من التلاميذ حفظها؛ وتسمى هذه الفقرة بالقاعدة، وهذا ما كان يرمي إليه الأخضري من إعداد هذا المتن[5].

([1])–الدرناوي، المرجع السابق، ص 59.
([2]) نفسه، ص 59.
([3])–الدراجي، المرجع السابق، ص 60.
([4])–الدرناوي، المرجع السابق، ص ص 10–11.
([5]) نفسه، ص 11.

وكما هو حال بالنسبة لموضوع الجمع فقد خصص أيضا للطرح بابا في منظومته، فالباب الثالث بدأه بـــ :[1]

الطرح إسقاط قليل من كثير وهو على ستة أقسام يصير
فإن طرحت القدر من كثير فالطرح فيه واضح التقدير[2]

إذن، فالطرح عبارة عن إسقاط العدد القليل من العدد الكثير، ويتم ذلك بإتباع ستة طرق، أما الباب الرابع فقد استهله بـــــ:

اعلم بأن الضرب تضعيف العدد بقدر ما في آخر من العـدد
فاجعلهما سطرين كل مرتبـــه مقرونـــــــة بأختها مرتبة
فكل رتبـــة لأعلى تنســـب في رتبة الآخرِ طُرًا تُضْرَبُ[3]

ومن هنا يخبرنا عن اختلاف الجمع عن الطرح بأنه تضعيف للعدد بقدر العدد المضروب فيه، وإذا كان الضرب يتفق معهما في ترتيب المراتب بحيث توضع الآحاد والعشرات تحت العشرات وغيره، فإنه لا يكتفي مثلهما بضرب مرتبة الآحاد مع الآحاد مثلا، بل يمكن لعدد في مرتبة الآحاد أن يضرب بعدد آخر في مرتبة العشرات وهكذا دواليك، وإذا تمت عملية الترتيب تبدأ عملية الضرب بـــ :[4]

وأحسب من المضروب للمضروب فيه والتـــرك لا من واحد تـكن نبيه
ولتجعل الخـــــارج فوق الأســـطر بقدر ذلك الحســـــاب الأشهـر
ويجمـــــــع الخـــارج ثـــم يجعل من فوقه وبعـــــــد ذاك يفعـل[5]

أما القسم الثاني، فقد خصصه لفقه الفرائض والتركات وهذا الجزء هو الذي شرحه الأخضري بنفسه، ويحتوي على أربع وتسعين(94 بيتا)، حيث يبين كيفية التصرف بأموال الميت[6]، وتوزيعها بين الورثة، ولقد اعتمد ذلك في ذلك على الكتاب والسنة وعلماء الإسلام واجتهاداتهم خاصة السادة المالكية، وقد شمل هذا القسم العديد من الأبواب منها:موانع

([1])-الدراجي، المرجع السابق، ص ص 60-61.
([2])- نفسه، ص ص 60-61.
([3])-نفسه، ص 61.
([4]) نفسه، ص ص 61،65.
([5])-الدرناوي، ص ص 11-12.
([6])-صيد، **عبد الرحمن الأخضري**، المرجع السابق، ص 66.

الإرث، السهام[1]، الحجب، الكليات[2]، الشواذ، أحوال الجد، حكم الخنثى، الولاء، كما فصّل في الوارثين من الرجال العشرة وهم: (الأب، والجد، الابن، وابن الابن، الزوج، والأخ، وابن الأخ، والعم، وابن العم، والمعتق)، وابتدأ هذا القسم قائلا :[3]

ترتيب ما يبدأ به في المال تدريه من تدوم في مقـــال
الوارثون في الرجال عشرة من جهة الشرع أتت مقرره
أب وجد لأب عن انفصل بذكر ابن ومن منه إنفسل
زوج أخ وابن إن لم يـكن للأم مولى نعمة أيضا قمن[4]
والعم لا لـــــلأم وابنه كذا وغير من ذكرته قد نبـــذا[5]

وهناك من قال أن الوارثين عددهم خمسة عشر، ثم نجده يذكر الوارثات من النساء وهن سبعة وذلك إجمالا وليس تفصيلا، وبعدما بين كل الأحكام الخاصة بالوراثة سواء للرجل أو المرأة إلى أن ينتهي هذا القسم بقوله:

وههنا انتهى بنـــا المقال في الفقه ثم بعده الأعمال[6]

وكان قد خصص الجزء الثالث للأعمال التي قسمها بدوره إلى ستة أبواب رئيسية كتصحيح الفرائض، وعمل المناسخة، الوصايا، الإقرار والإنكار، قسمة التركات، قسمة المحاصات، وفي بداية شرحه على الدرة قال عبد الرحمن الأخضري لما فرغنا من جملة الفقه شرعنا العمل وهذه الجملة هي التي تحتاج إلى الحساب الذي يوصل به إلى معرفة الأنصبة وبها ستة أبواب، وقد بين علم الفروض وعددها في بداية هذا الجزء في قوله[7]

إن الفروض ستة كـــــــــما ذكر من قبل في باب السهام قد شهر

([1])–مفردها، سهم وهو الحظ والنصيب سواء علم مقداره أم لا، فما علم مقداره سمي فرضا وهو المقصود، وما لم يقدره الشرع سمي تعصيبا. ناصر الأخضري، المرجع السابق، ص 19.

([2])–لغة هو المنع والستر ومنه حاجب العين لأنه يسترها ويمنع وصول الأذى إليها، واصطلاحا هو منع من قام به سبب الإرث من الإرث لوجود شخص أو عدمه وهو نوعان حجب نقصان وحجب إسقاط، . نفسه، ص 33.

([3])–مصمودي، المرجع السابق، ص 98.

([4])–أي جدير بالإرث وهو لتكملة الوزن. وتعني نبذ غير المذكورين متروكا لأنه من ذوي الأرحام ولا يرث ذوو الأرحام عند المالكية، والألف للإطلاق. نفسه، ص 13

([5])–الدرناوي، المرجع السابق، ص ص 44، 41.

([6])–الدراجي، المرجع السابق، ص 64.

([7])–الدرناوي، المرجع السابق، ص 106.

وجملة الأصول[1] سبع كامـــــــلة عـــــــائلة فاعلم وغير عـــائلة
ثلاثة وستة واثنا عشر كـــــذاك أربع وعشرون تـــقر[2]

ولقد ذكر الأصول المتفق عليها وترك المختلف فيها، وهما خاصان بباب الجد والأخوة والصحيح أنهما مضحان لا أصلان، وفي نهاية هذا النظم قال:

وهــذه نـــــهاية المـــراد وربنـــا الهادي إلى الرشـــــاد
قد انتهى ما رمته مبـــــينا والحمد لله الذي قد أحســـــــنا
وقد فرغت من جميع النـــظم بأفضل الشهور شهـــــر الصوم
من ستة لأربعين مـــــــكملة من بعد تسعمـــائة مـــــحصلة
وإن عـــــــنى عذول منتبه فلبني العشرين عذر متـــــجه[3]

ثالثا. السلم المرونق في المنطق:

السلم المرونق، هو متن في علم المنطق من بحر الرجز قام بنظمه سنة 941 وهو ابن واحد وعشرين عاما(21عام)، ويحتوي هذا النظم على مئة وأربع وأربعين(144) بيتا وقام بشرحه، وتمت طباعة المتن والشرح بمصر بالإضافة إلى أنه شهد شروحات عديدة، في كل من الهند والمشرق (كشرح الباجوري ومحمد التفاني)، وفي المغرب يوجد شرح للشيخ سعيد قدورة، وتوجد عدة نسخ منه في المكتبة الوطنية الجزائرية[4].

ويوجد للشيخ الأخضري شرح على السلم المرونق غير معنون طبع بآخر شرح أحمد الدمنهوري على السلم أيضا المسمى إيضاح المبهم من معاني السلم وبهامش الشرحين حواشي للشيخ إبراهيم الباجوري، وقد طبع الشرحان مع الحواشي المذكورة في المطبعة الميمنية بمصر سنة 1308 هـ، ويقول الأخضري في بداية السلم[5]:

([1])–مفردها أصل ضد الفرع وهو في إصطلاح الفرضيين أقل عدد تؤخذ منه الفروض بلا كسر والتأصيل هو البحث عن ذلك الأصل، وله نوعان الأول متفق عليه وهي سبعة والثاني مختلف عليها وهي إثنان، ناصر الأخضري، المرجع السابق، ص 77.

([2])–الدراجي، المرجع السابق، ص 65. أنظر الملحق رقم (4)، ص 112.

([3])–وهي تحتوي على ثلاثة نسخ مرقمة كالتالي:1412، 394، 137، وتوجد أيضا نسخة بالمكتبة السليمانية بإسطنبول لعام 1161 هـ، الدرناوي، المرجع السابق، ص 208، ولقد ترجم السلم إلى الفرنسية من قبل دومنيك لوسيان، وكذلك ترجم الدرة البيضاء والعقيدة للسنوسي وجوهرة التوحيد، نفسه.

([4])_محمد هواري، **شرح السلم المرونق في علم المنطق**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2012–2013، ص 47.

([5])–صيد، **عبد الرحمن الأخضري**، المرجع السابق، ص 71.

الحمد لله الذي قـــد أخرجـــــا نتائج الفكر لأرباب الحجـا
وحط عنهم من سمـــــــا العقل كل حجاب من سحاب الجهل
حتى بدت لهم شموس المـعرفة رأوا مخدراتهـــا منـــــكشفه
نحمده جل على الإنـــــــعام بنعمة الإيمان والإســـــلام[1]

والمعنى من هذه الأبيات هو حمد الله الذي تفضل على أصحاب العقول فأظهر لهم العلوم فهو مطلع لشموس المعارف، كما أن السماء مطلع لشموس الأنوار الحسية والحجاب ما يمنع رؤية ما وراءه ومن سحاب الجهل، أي من الجهل الذي يحجب نور العلم كالسحاب الكثيف، الذي يحجب نور الشمس الساطع [2].

ويعتبر هذا النظم مساعدا على الحفظ، ولذلك نَظَمَهُ عبد الرحمن الأخضري، فالسلم المرونق في علم المنطق هو مقرر تعليمي للمنطق وغرضه هو إفادة تلامذته والمبتدئين في هذا العلم، وتوسيع مداركهم وتقريب الفهم إليهم وذلك لأن المتون والأراجيز التي نظمها الأخضري تمتاز بالاختصار في العبارات والدقة في المعنى، ويقول الأخضري: "راودني بعض الإخوان من الطلبة أكرمهم الله المرة بعد المرة على أن أضع شرحا مفيدا يبث ما انطوت عليه من المعاني، ويشيد ما تقاصر فيها من المباني، فأجبته لذلك طالبا من الله تعالى حسن التوفيق إلى مهايع[3] التحقيق"[4].

ويقول أيضا: " لم أضعه لمن هو أعلى مني بل لأمثالي من المبتدئين...وبالله التوفيق ويوضح عبد الرحمن الأخضري المراد من تأليف هذا الكتاب فيقول:" المراد أن هذا الكتاب سلم لغيره من كتب المنطق كما مر، وأيضا، فإن المنطق منه سهل وصعب، فالمعاني السهلة سلم للصعبة، فلا اعتراض"، ومن هنا يكون السلم وسيلة لفهم المنطق بطريقة سهلة[5].

([1])–أبو العباس، **السلم المرونق في علم المنطق**، ملتقى أهل اللغة، 1428هـ، دم، ص 08.

([2])–عبد الرحيم فرج الله، **شرح السلم في المنطق للأخضري**، دار القومية العربية للطباعة، د ط، مصر، د ت، ص 02.

([3])–المهيع، محركة تلون الوجه من عارض فادح، وقيل ومنه المهيع للطريق الواسع الواضح، أنظر الفيروز آبادي، المرجع السابق، ص 765.

([4])–فرج الله، المرجع السابق، ص 02.

([5])–هواري، المرجع السابق، ص ص 48، 47.

إن تأليف السلم المرونق مهم جدا ولهذه الأهمية الكبيرة، قام العديد من الباحثين والمؤلفين بإعداد شروحات له، فنجد الأخضري نفسه قد قام بوضع حاشية لهذا التأليف، وذلك بعد إلحاح بعض زملائه، فيقول في ذلك: "وإن كنت لست أهلا لذلك ولكن حملني عليه تفاؤلي، ولم أضعه لمن هو أعلى مني بل لأمثالي من المبتدئين، فالله الله ياأخي في الاعتذار وترك الاعتراض، أما الشروحات الأخرى مثل شرح الشيخ أبي راس الناصر المعسكري، وسماه" القول المسلم في شرح السلم"، وشرح آخر للحسن الدرويش القويسني، وآخر للشيخ أبي عثمان سعيد بن إبراهيم قدورة [1].

رابعا: أزهر المطالب في هيئة الأفلاك والكواكب:

وهي منظومة علمية وتعليمية نادرة للأخضري في علم الإسطرلاب[2]، وهي آلة فلكية قديمة ترصد من خلالها مواقع الكواكب والنجوم والأجرام السماوية ومعرفة الوقت وغيرها من الأمور الفلكية ، وهي تبدأ بـــ:

القــول في تسمــية الآلات[3] القول ورســـم الإسطرلاب حيث يأتي

بالأم[4] ذات البطن والكرسي ما علا وفـــــيه عروة[5] قـــد رسمـــا[6].

([1]) نفسه، ص ص 50-51.

([2])الإسطرلاب(Astralabe): هو آلة فلكية عريقة تسمى عند العرب أيضاً باسم (ذات الصفائح)وربما عاد اختراعها الأول إلى الفراعنة أو البابليين، فنظراً لعنايتهم واهتمامهم بعلم الفلك وتتبع النجوم ودراسة حركتها، وذكر اليعقوبي أن ثيون الأسكندري، الذي عاش في القرن الرابع الميلادي ألف عملاً حول الإسطرلاب، غير أن عمله هذا لم يصل إلينا كما تبين أن السريانيين كان لهم اهتمام بالإسطرلاب، إذ قام في القرن السابع الميلادي سفيروس سيبوخت بالكتابة حول الإسطرلاب، وفي العصر الإسلامي شاع استعمال الإسطرلاب وانتشر استعماله بين المسلمين، حيث ألف أبو الحسن عبد الرحمن بن عمر بن سهل الصوفي الرازي(291هـ-903م/376هـ-986م) كتاب العمل في عمل الإسطرلاب، وفي القرن الثامن الميلادي قام أبو إسحاق إبراهيم بتطوير الإسطرلاب، ومن ذلك الوقت تعددت المؤلفات المتعلقة بالإسطرلاب لدى المسلمين، خاصة في الأندلس والمغرب، منها منظومة الأخضري هذه، ينظر: الدراجي، المرجع السابق، ص 322.

([3])-لقد تعددت أشكال آلات الإسطرلاب وكذلك المواد التي صنع بها فمنها الخشبية والنحاسية والحديدية، نفسه.

([4])-الأم، هي التي تشتمل الصفائح المثبة في الوجه أما الكرسي، فهو الخط المستقيم المار بمركز الدائرة والكرة المنتهي إلى الجانبين الأيمن والأيسر، ينظر: نفسه، ص 322.

([5])-العروة هي التي فيها الحلقة وهي ماسكة للكرسي، ينظر: نفسه، ص 322.

([6])-نفسه، ص 322.

المبحث الثالث: المؤلفات اللغوية:

لقد ألف عبد الرحمن الأخضري أيضا في اللغة والأدب والشعر، فنجد أنه قد ألف **منظومة قواعد الإعراب،** وهي منظومة من المنظومات التعليمية النادرة التي خلفها الشيخ عبد الرحمن الأخضري، وكما تعد من اليوم من الأعمال المفقودة التي ألفها الأخضري، وهي عبارة عن نظم على كتاب (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب) لجمال الدين عبد الله بن هشام[1].

وقد انفرد العلامة عبد المجيد حبة[2] بالتطرق إليها وذكرها، حيث يقول وهو يتحدث عن عبد الرحمن الأخضري: "وقد ذكر مترجموه غالبا مؤلفاته وفاتهم جميعا نظمه الذي اسمه مغني بن هشام"[3].

ونجد أن العلامة عبد المجيد حبة قد أشار إلى أنها موجودة[4] معتمدا في ذلك على فهرس هذه المخطوطة التي جاء فيها"منظومة لمغني بن هشام لعبد الرحمن الأخضري(ت 983هـ)"وهي تبدأ بـــ:

(1)–هو جمال الدين عبد الله بن هشام (1309هـ–1360م)وهو نحوي ولغوي مصري شهير،من أئمة اللغة العربية وله مؤلفات كثيرة منها(مغني اللبيب عن كتب الأعاريب) وكذلك (شذور الذهب في معرفة كلام العرب) وأيضا(قطر الندى وبل الصدى) و(الإعراب عن قواعد الإعراب), مصمودي، المرجع السابق، ص 165.

(2)– ولد سنة 1911م– وتوفي سنة 1992 وله عدة مؤلفات، نفسه، ص 165.

(3)–نفسه، ص 165.

(4)–قال بأنها موجودة في المكتبة الأحمدية بخزائن جامع الزيتونة بتونس، ينظر: نفسه، ص 165.

هذا بحمد الله نظم سهل مورد للطـــــــالبين نهل

معتمدا على كتاب المغني لإبن هشام شيخ هذا الــفن[1].

كما ألف الأخضري الجوهر المكنون في صدف الثلاث فنون، وهو نظم ألفه لخص فيه كتاب "التلخيص في علوم البلاغة" لجلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني[2] في البلاغة، ولقد ألفه الأخضري وهو ابن ثلاثين عاما[3]، وسمي بالجوهر المكنون في الثلاثة فنون لأنه يدرس(البيان والمعاني والبديع)، وهي أرجوزة تحتوي على مائتان وواحد وتسعون(291) بيتا، وهذا ما قاله الأخضري بنفسه حيال هذا حين قال:

فجئته برجز مـــــــــفيد مهـــذب منقح ســـديد

ملتقطا من درر التلخيـص جواهر بـــــديعة التلخيص

سلكت ما أبدى من الترتيب وما ألوت الجهد في التهذيب

سميته بــ"الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون"[4]

إذن فقد صرح الأخضري بأنه قد إتبع الترتيب نفسه، الذي وضعه القزويني غير أنه اجتهد بالتهذيب كما قال، ولم يكتف بالاقتباس والشرح، وهذا واضح فعلا في هذه المنظومة، ولقد عالج فيه بعض القضايا بطريقة واضحة وبعناوين أكثر دلالة مثل، تخصيصه عنوانا للإسناد العقلي، والمعاني، وفي الإنشاء، وفي الوصل والوصل، والتشبيه، والحقيقة والمجاز وغيرها، الذي كان مدمجا عند القزويني في محتوى الإسناد، وغيرها من المواضيع، ولاقت

هذه المنظومة عناية كبيرة من قبل العلماء وطلاب العلم فنقلت واستظهرت وشرحت، وطبعت في عدة بلدان كمصر[5].

([1]) – مصمودي، المرجع السابق ، ص 165.

([2])– هو أبو المعالي جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر، ولد بالموصل سنة 666هـ/739م وتوفي بدمشق سنة 1268هـ/1338م، فقيه شافعي وأديب تولى القضاء في عدة أماكن من مؤلفاته أيضا "الإيضاح "وهو شرح للتلخيص و"السور المرجانيمن الأرجاني، ينظر: الدراجي، المرجع السابق، ص 249.

([3])–عبد الرحمن بن صغير الأخضري، **الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون**، تح : محمد بن عبد العزيز نصيف، د ط، مركز البصائر للبحث العلمي، المدينة المنورة، دت، ص 19.

([4])–بن صغير الأخضري، المرجع السابق، ص 20.

([5])–الدراجي، المرجع السابق، ص 250،.ينظر، عمر بوقمرة، **عبد الرحمن الأخضري المجدد البلاغي(دراسة مقارنة)**، مجلة دراسات، الشلف، ديسمبر 2016، ص 124–125، وكذلك: أحمد الدمنهوري، **حلية اللب المصون على الجوهر المكنون**، د ط، د دن، د م، 1994، ص 31.

وهناك مؤلفات أخرى عامة للأخضري، نذكر منها :

-**الفريدة الغراء:** وهي قصيدة تعليمية في التوحيد والعقيدة الإسلامية، أما أبو القاسم سعد الله، فقد قال بأن الأخضري لم يؤلف في التوحيد[1]، وهي مازالت عبارة عن مخطوطة.

-**الدرة البهية:** وهي موجودة في بعض الزوايا بولاية بسكرة[2].

-**اللامية:** وهي مختصة بالمواعظ والحكم وتبلغ مئتان وأربع وخمسون(254 بيتا)، وهي تبدأ بـــ:

الله المقتـــــدر الأزلي سبحانه جل عن المثل

سبحانه جل هو الصمد الفـــــرد الجبار الأزلي[3]

لله الحمـــد على نـــعم منها الإرشاد إلى السبل

فهدى برســول الله إلى أزكى ما كان من الملل[4]

-**الرائية:**هي قصيدة رائية طويلة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، جادت بها قريحة الأخضري في لحظة من لحظات العشق النبوي، وتبلغ مئة وأربع وستون (164 بيتا)، وجاء فيها[5]:

الحمد لله طول الدهر والعصر ثم الصلاة على المختار من مضر

يا ثاقب النور ما أسناك من قمر هل اطلعت على أرض بها وطر

ألفيت حب الهوى يوما فقلت له جهلا بزاغة ما في الحب من ضرر[6].

([1])-مصمودي، المرجع السابق، ص. 186.

([2])-نفسه.

([3])-الصمد بمعنى قصد، والصمد من صفاته تعالى لأنه أصمدت إليه الأمور فلم يقص فيها غيره، والفرد ما كان وحده، الجبار من أسماء الله تعالى وهو الذي أجبر خلقه على ما أراد، الأزلي، وهي أيضا من صفاة المولى عز وجل وهي تعني القدم، تبرماسين، **ديوان عبد الرحمن**، المرجع السابق، ص 83.

([4])-الملل جمع ملة، والملة هي الشريعة والدين، ينظر: نفسه.

([5]) صيد، **أعلام من بسكرة**، المرجع السابق، ص 28.

([6])-تبرماسين، **ديوان عبد الرحمن**، المرجع السابق، ص 175.

خاتمـــــة

إن هذه الدراسة التي خصصتها للبحث في حياة علم من الأعلام المرموقين في الجزائر وهو عبد الرحمن الأخضري، ومن خلال بحثنا هذا توصلنا إلى مجموعة من الاستنتاجات أهمها:

لعبت شخصية الأخضري دورا مهما وبارزا في تنشيط الحياة الثقافية في الجزائر العثمانية، خاصة في الصحراء الجزائرية (منطقة بسكرة) بالتحديد، والتي كانت شبه خالية من العلماء في تلك الفترة، فالأخضري يعتبر شخصية نادرة خاصة في بداية العهد العثماني.

لم يبقى العلامة عبد الرحمن الأخضري رهينة منطقته (بسكرة)، بل حاول أن يوسع من رصيده العلمي، وكانت الرحلة عاملا مهما في صقل شخصية الأخضري، الذي قام بزيارة عدة مناطق في داخل الجزائر كقسنطينة التي كانت مركز إشعاع في تلك الفترة، وكذلك في الخارج (كتونس)، كما جعل الكثير من الرحالة يقصدون بلدة الأخضري للوقوف على قبره، وهذا إن دل على شيء، فإنما على المكانة والشهرة التي وصل إليها الأخضري في بداية العهد العثماني في الجزائر.

حافظ الأخضري على علاقات طيبة وحسنة مع السلطة العثمانية في الجزائر طيلة حياته، فقد تمتع بالعديد من الامتيازات من قبل العثمانيين، مما يدل على المكانة للبارزة للأخضري ليس عند السكان فحسب، بل عند السلطة الحاكمة أيضا، خاصة وأن هذه الأخيرة كانت في أمس الحاجة لخدمة هؤلاء العلماء، ومنها دعوة الجزائريين للجهاد ضد الصليبيين.

يعتبر العهد العثماني عصر تصوف بامتياز، لذا شهد العديد من المتصوفة والطرق الصوفية، ولقد كان للأخضري موقف من مسألة التصوف وأهله، إذ نجده من أشدّ المحاربين للتصوف البدعي وكشف الدجالين والدراويش، وذلك من خلال مؤلفاته العديدة مع العلم أن الأخضري كان رجلا صوفيا سنيا، ولذلك كان هدفه دائما هو الحفاظ على التصوف الصحيح، الذي يستمد قواعده من الشريعة الإسلامية والسنة النبوية الشريفة.

لقد ترك لنا الأخضري إنتاجا ثقافيا غزيرا، فيوجد منه ما هو مطبوع، ومنه مايزال في شكل مخطوطات لم تحقق بعد، وقد استفادت الأجيال من هذا التراث في ظل النقص الفادح في التأليف، خاصة في بداية العثماني بالجزائر، وبعد وفاة الأخضري بقيت هذه المؤلفات تدرس في عدة بلدان في المغرب والمشرق.

يعتبر العلامة عبد الرحمان الأخضري عالما موسوعيا، ومن العلماء القلائل في العهد العثماني، الذين يجمعون بين العلوم الدينية والعلوم العقلية، ففي ظل النقص الواضح في التأليف، خاصة في بداية العهد العثماني بالجزائر، نجد الأخضري يؤلف في كافة المجالات، سواء كانت في المجال الديني، كالفقه والحديث، أو المجال العقلي كالفلك، والحساب، والمنطق، أو المجال اللغوي.

الملاحق

الملحق رقم (1): يمثل وثيقة تثبت زواج عبد الرحمان الاخضري.

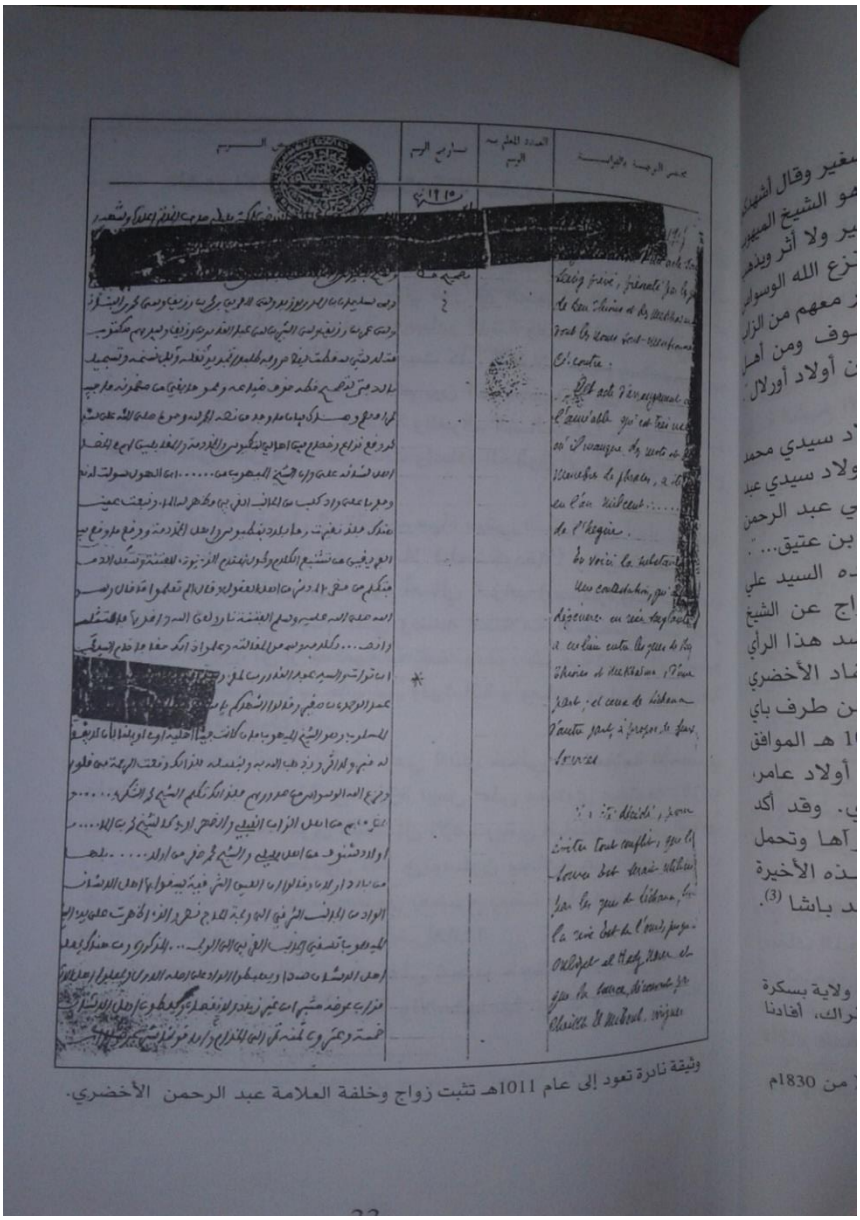

وثيقة نادرة تعود إلى عام 1011هـ تثبت زواج وخلفة العلامة عبد الرحمن الأخضري.

المصدر: مصمودي، المرجع السابق، ص 33.

الملحق رقم(2): يمثل مسجد وضريح العلامة الاخضري ببنطيوس

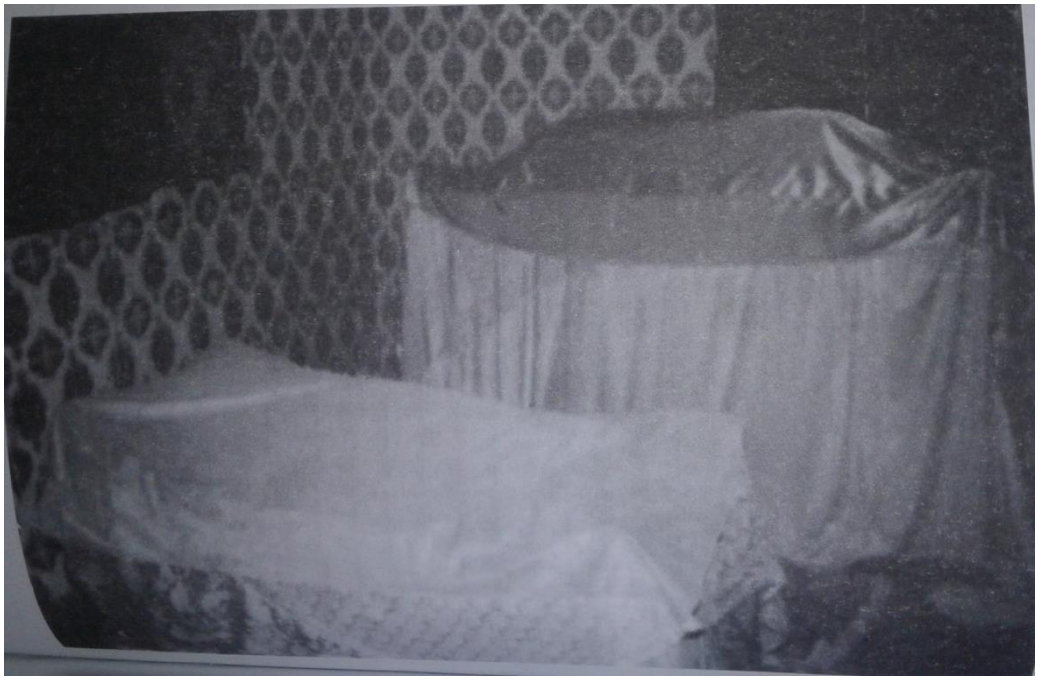

المصدر: مصمودي، المرجع السابق، ص ص 20، 56.

الملحق رقم(3): يمثل المناطق التي تنقل إليها الاخضري

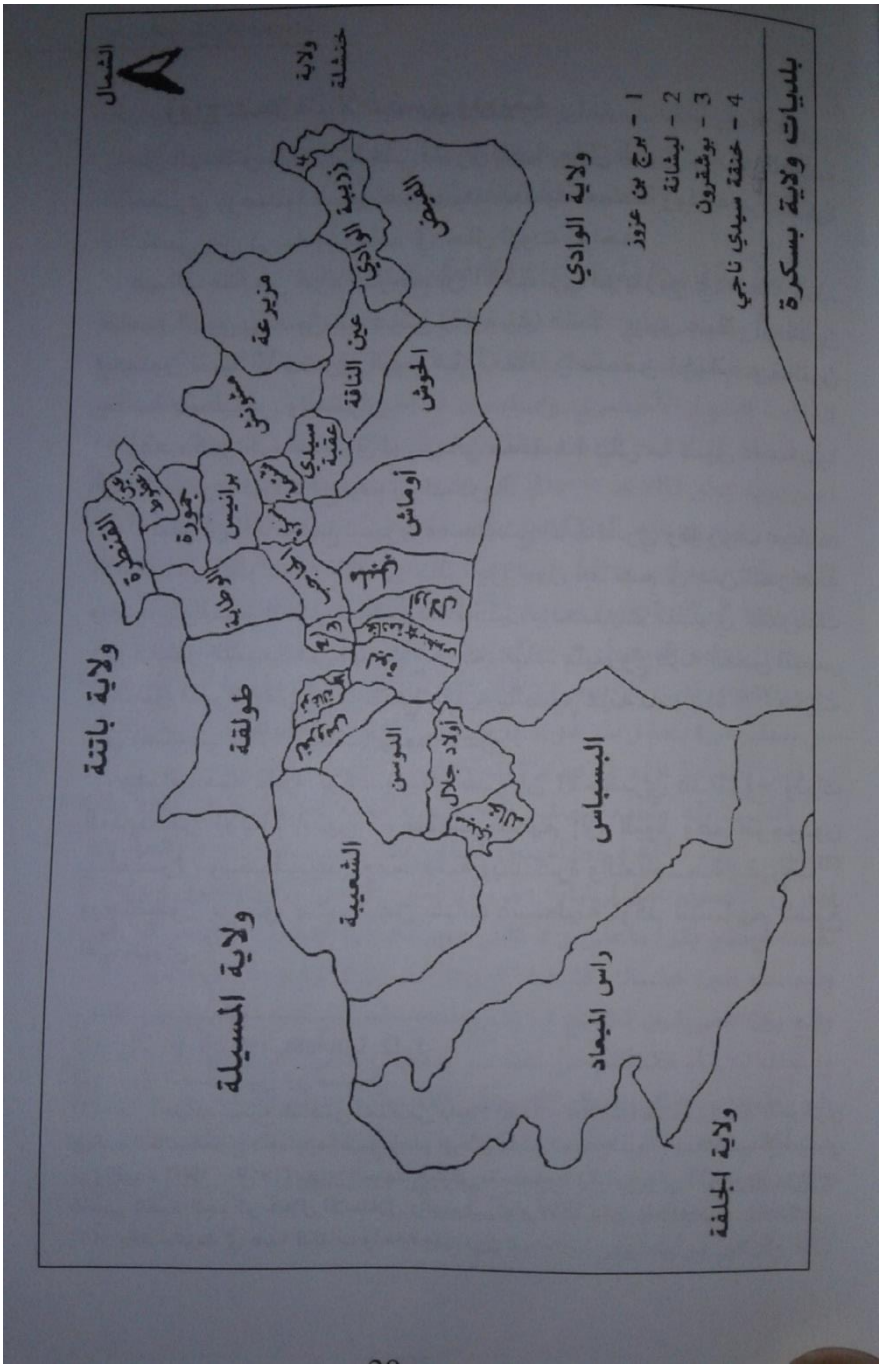

المصدر: مصمودي، المرجع السابق، ص 29.

الملحق رقم(4): يمثل صفحة من مخطوطة لكتاب السلم المرونق للاخضري

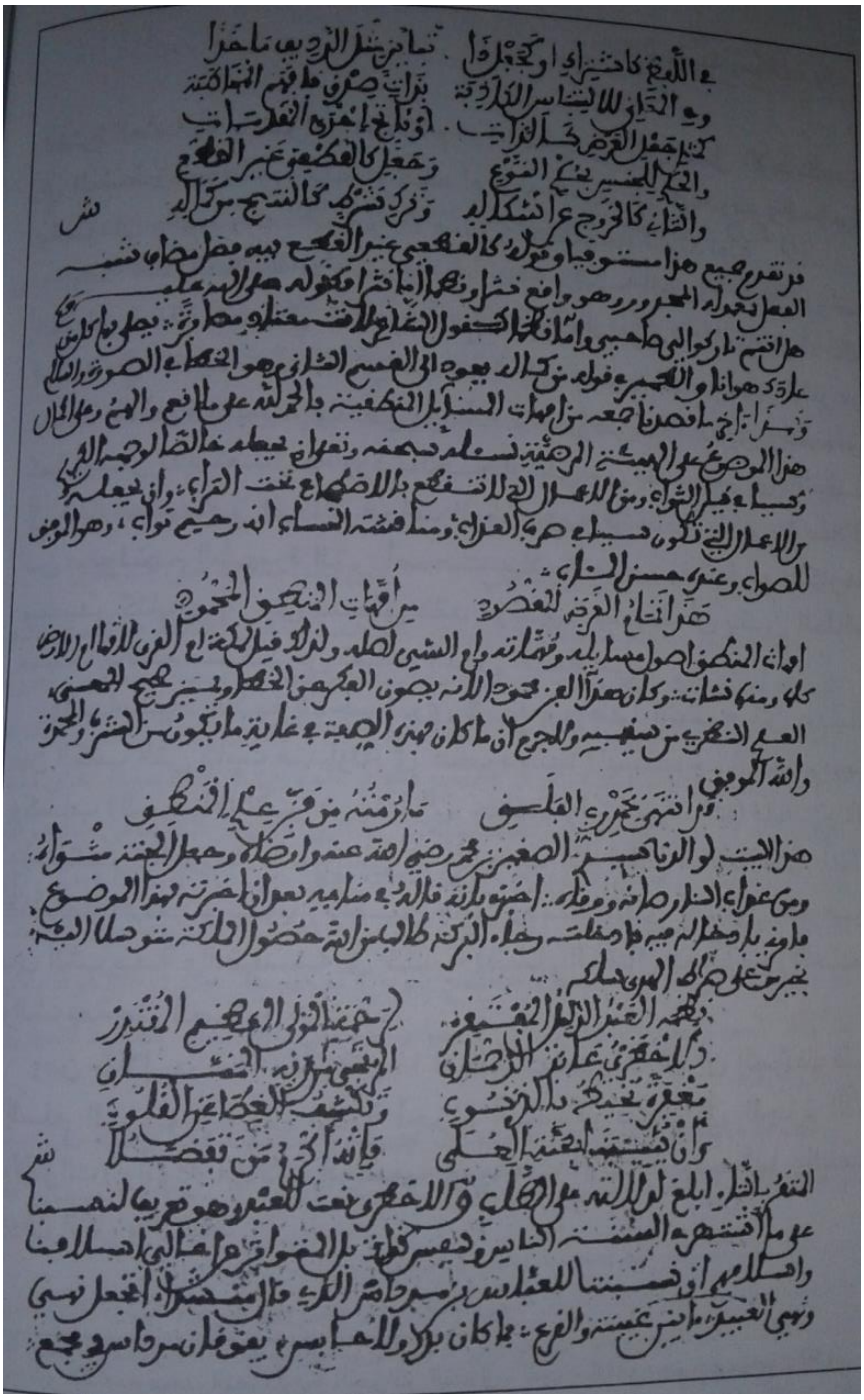

المصدر: مصمودي، المرجع السابق، ص 110.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

1- القرآن الكريم.

2- الكتب:

1. أحمد بابا التنبكتي، **نيل الإبتهاج بتطريز الديباج**،ت ق،عبد الحميد عبد الله الهدامة، ط 2، دار الكتاب، طرابلس، 2000.
2. الأخضري المغربي عبد الرحمن بن سعيد ، **منظومة في التصوف**، د ط، د د ن ، دم، دت.
3. الأخضري عبد الرحمن ،**شرح الدرة البيضاء**،تح: أبي عبد الله محمد الدرناوي، دار التقدم العلمية، دط، مصر،1325هـ.
4. الأخضري عبد الرحمن ،**متن السراج في علم الفلك والأبراج** ، د ط، د د ن، د ب، د ت.
5. الأخضري عبد الرحمن بن صغير، **الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون**،ت محمد بن عبد العزيز نصيف، دط، مركز البصائر للبحث العلمي، السعودية، دت.
6. البوعبدلي المهدي، **مراسلاته مع الشيخ البشير محمودي**، تح:عبد الرحمن دويب، ط 1،عالم المعرفة،2013، الجزائر.
7. التمنارتي أبي زيد عبد الرحمن ،**الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة**، تح: اليزيد الراضي،ط 1،دار الكتب العلمية،لبنان،2007.

الحفناوي أبو القاسم الديسي ، **تعريف الخلف برجال السلف**، دار بيير فونتانة الشرقية، الجزائر ،1906.

8. ابن خلدون عبد الرحمن ،**المقدمة**، تح: حجر عاصي، د ط، دار الكتب الهلال، بيروت،1991.
9. ابن زاكور، **نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان**، ط خ، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر،2011.
10. الزياني أبو القاسم، **الترجمانة الكبرى**، تح: عبد الكريم،ط 1، دار المعرفة للنشر، الرباط،1991.
11. ابن العطار أحمد بن المبارك، **تاريخ بلد قسنطينة**، تح: عبد الله حماد،ط ج،دار الفائز للطباعة والنشر، قسنطينة،2011.

12. العياشي سالم ،**إتحاف الأخلاء بإجازات المشايخ الأجلاء**،تح: محمد الزاهي،ط 1،دار الغرب الإسلامي،لبنان،1999.
13. العياشي سالم، **إتحاف الأخلاء بإجازات المشايخ الأجلاء**،تح: محمد الزاهي، ط 1، دار الغرب الإسلامي، لبنان،1999.
14. الفكون عبد الكريم، **منشور الهداية**، تح: أبو القاسم سعد الله، ط 1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1987.
15. قاسم مخلوف محمد بن محمد بن عمر بن ،**شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، تح: عبد المجيد خيالي المجيد ،ط 1، دار الكتب العلمية، لبنان،ج 1،2002.
16. ابن القاضي أبي العباس أحمد بن محمد المكناسي، **درة الحجال في أسماء الرجال** ،تح: محمد الأحمدي أبو النور ،ط 1، دار التراث، القاهرة ،ج 2.
17. ابن قنفد أبي العباس أحمد الخطيب، **أنس الفقير وعز الحقير**، تح: محمد الفاسي وأدولف فور، مطبعة أكدال،الرباط،1965.
18. القيرواني عبد الله بن أبي زيد، **شرح العلامة أحمد بن محمد البرنسي الفاسي على متن الرسالة**، تح: أحمد فريد المزيدي، ط 1، دار الكتب العلمي،لبنان،2006،ج 1.
19. الكتاني أبي عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس، **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**، تح: عبد الله الكامل الكتاني وآخرون، د ط، دار الثقافة، الدار البيضاء،ج 2،2004.
20. الكتاني عبد الكبير بن هاشم ،**زهرة الآس في بيوتات أهل فاس**،تح: علي بن المنتصر الكتاني، ط 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،ج2، 2012.
21. الكتاني عبد الكبير بن هاشم ،**زهرة الآس في بيوتات أهل فاس**،تح: علي بن المنتصر الكتاني، ط 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،ج2، 2012.
22. مخلوف محمد بن محمد بن عمر بن قاسم، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، تح: عبد المجيد خيالي، ط 1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2002.
23. مريم التلمساني محمد ،**البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، دط، دار السهل، الجزائر،2009.

24. المنجور أحمد ،**فهرس أحمد المنجور**،تح: محمد حجي، د ط، دار المغرب للنشر والتوزيع، الرباط،1976، ص 17 .
25. المنجور أحمد ،**فهرس أحمد المنجور**،تح: محمد حجي، د ط، دار المغرب للنشر والتوزيع، الرباط،1976، ص 17 .
26. مؤلف مجهول، **متن السراج في علم الفلك والأبراج**، دت.
27. الورثلاني الحسن بن محمد، **الرحلة الورثلانية**، ط 1، القاهرة، مكتبة الثقافة، 2008.
28. الورثلاني الحسن بن محمد، **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، دط، دار بير فونتانا الشرقية، الجزائر،1908.
29. الورثلاني الحسن بن محمد، **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، دط، دار بير فونتانا الشرقية، الجزائر،1908.

ثانيا: المراجع:

المراجع العربية:

1-الكتب:

1. ابن قشوط محمد العرب، **كتاب الإرشاد إلى سبيل الرشاد**، تح: عبدالرحمن دويب، ط خ، دار كردادة، الجزائر،2013.
2. أبو العباس،**السلم المرونق في علم المنطق**،،د ط،ملتقى أهل اللغة، د م،1428هـ.
3. أحمد يحي أمينة، أمحمد مسعود أمينة **الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي ودوره في ظهور الحركات الجهادية في غرب إفريقيا**،مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ إفريقيا، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية،جامعة الجيلالي بو نعامة،2014-2015.
4. أمين أحمد، **ظهر الإسلام**،ط 5، دار الكتاب العربي،لبنان، مج 2،1969.
5. باجي عبد القادر،**الإمام المغيلي عصره وحياته**، دط، وزارة الشؤون الدينية والاوقاف، الجزائر،ج1 ،2011.
6. باجي عبد القادر،**الإمام المغيلي عصره وحياته،وزارة الشؤون الدينية والأوقاف،ج1، 2011.**

7. بشير ضيف بن أبي بكر بن البشير بن عمر الجزائري، **فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث**، تح: عثمان بدري، ط 2، دار ثالة، 2007.
8. بن عزوز محمد، **ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة**، ط 1، دار ابن حزم، لبنان،2010.
9. بناهض عبد الكريم،**التواصل الحضاري بين المشرق والمغرب العربي من خلال الرحلة العياشية(ماء الموائد)**،مجلة الذاكرة ، الجزائر،ع 10، جانفي 2018.
10. بو معزة عبد القادر، **بسكرة في عيون الرحالة الغربيين**،ط 1،دار علي بن زيد، الجزائر،2016،ج 1.
11. بودواية بلحيا،**التصوف في بلاد المغرب العربي**،ط1،دار القدس العربي،الجزائر،2009.
12. بودواية بلحيا،**التصوف في بلاد المغرب العربي**،ط1،دار القدس العربي،الجزائر،2009.
13. بونابي الطاهر،**التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و 7 الهجريين / 12 و 13 الميلاديين**، د ط، دار الهدي للنشر، الجزائر،2004.
14. بونابي الطاهر،**الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين 8و9هجري/14و15ميلادي**،أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الإسلامي الوسيط،قسم التاريخ،جامعة الجزائر،الجزائر،2008-2009.
15. التاري عبد الهادي، **جامع القرويين**،ط 1،دار المعرفة ،المغرب،200.
16. تبرماسين عبد الرحمن ، **عبد الرحمن الأخضري** ، ط 1، دار علي بن زيد للطباعة والنشر(بسكرة)الجزائر،2017.
17. تبرماسين عبد الرحمن، **ديوان عبد الرحمن الأخضري**، ط 1، منشورات أهل القلم، د ط، د ب، 2009.
18. جلياتوري الفوتي سعد بن عمر بن سعيد، **حل المسائل في شرح مختصر الأخضري بالدلائل**، د ط، سيفو جمهورية مالي ،1971.
19. خليفة حاجي،**كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون**، دار إحياء التراث العربي، دط، تح: رفعت بيلكه الكلسي، مج 2،لبنان.

20. الدراجي بوزياني ،عبد **الرحمن الأخضري العالم الصوفي الذي تفوق في عصره**،ط 2، بلاد للنشر والتوزيع ،الجزائر،2009.
21. الدرناوي عبد الله محمد، **شرح الدرة البيضاء**، د ط،مطبعة التقدم العلمية، مصر،1325هـ.
22. درنيقة محمد أحمد ،**التصوف الإسلامي الطريقة النقشبندية وأعلامها**، د ط، جروس برس، طرابلس، 1987.
23. درنيقة محمد أحمد، **التصوف الإسلامي الطريقة النقشبندية وأعلامها**، د ط، جروس برس، طرابلس،1987.
24. درنيقة محمد أحمد،**الطريقة النقشبندية وأعلامها**، د ط، جروس برس، طرابلس،1987.
25. دمشقية عبد الرحمن محمد سعيد ،**الطريقة النقشبندية**، د ط، الفرقان، د ب، د ت.
26. الزركلي خير الدين ،**الأعلام**،ط15،دار العلم للملايين، لبنان،2006،ج3.
27. سعد الله أبو القاسم ،**شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون**، دط، دار الغرب الإسلامي ،لبنان،1986.
28. سعد الله أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830**، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان ،ج 1،ج2،1998.
29. السعدي عبد الملك، **الشرح الواضح المنسق لنظم السلم المرونق**، ط 1، دار النور المبين، الأردن،2011 .
30. سعيدوني ناصر الدين، **من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي**، ط 1، دار الغرب الإسلامي، لبنان،1999.
31. شترة خير الدين، **الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة(1900-1956م)**، ط خ،دار البصائر،1،الجزائر،ج 1،2009 ج 1.
32. شرفي عاشور، **معلمة الجزائر**، د ط، دار القصبة للنشر والتوزيع، الجزائر،2009 .
33. الشمري هزاع ،وقاسم السامرائي،**الأرقام في المشرق عربية النجار وفي الغرب الأوروبي سنسكريتية هندية الدثار**، دط، د د ن، دت، د ب.

34. شيمل آنا ماري، **الأبعاد الصوفية وتاريخ التصوف**، تر: محمد إسماعيل السيد و رضا حامد قطب، ط 1، منشورات الجمل، بغداد،2006 .
35. صاري موسى ،**عبد الرحمن الاخضري العابد الزاهد 1514/1575م**، دط ،إبتكار للنشر والتوزيع،الجزائر،2011.
36. صحراوي عبد القادر ،**الأولياء والتصوف في الجزائر خلال العهد العثماني(1520-1830م)**، دار هومة، د ط، الجزائر،2016 .
37. صحراوي عبد القادر،**الأولياء والتصوف في الجزائر خلال العهد العثماني(1520-1830)**، دط، دار هومة، الجزائر،2016 .
38. صيد عبد الحليم،**عبد الرحمن الأخضري حياته وآثاره**، ط 1، دار علي بن زيد للطباعة، الجزائر،2016.
39. عبد الحميد إبراهيم قادري، **التعريف بوادي ريغ(تقرت)**، ط 1، منشورات جمعية الوفاء للشهيد، 1998.
40. عبد الرحمن بن محمد الصغير، الأخضري، **مختصر الاخضري في العبادات على مذهب الإمام مالك**، ط1، مطبعة مصطفى حلبي، مصر،1955.
41. عبد الرحيم فرج الله، **شرح السلم في المنطق للأخضري**، د ط، دار القومية العربية للطباعة، مصر، دت.
42. عبد العزيز بنعبد الله، **معلمة التصوف الإسلامي**، ط1، دار المعرفة، الرباط، 2001.
43. عبد الكريم القشيري، **الرسالة القشيرية**، تح: خليل المنصور، د ط، دار الكتب العلمية، لبنان، 2001.
44. العقبي صلاح مؤيد ،**الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر(تاريخها ونشاطها)**،ط خ، دار البصائر، الجزائر، 2009.
45. العقبي صلاح مؤيد، **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر**، ط 1، دار البراق،2002 .
46. عيسى عبد القادر عيسى، **حقائق عن التصوف**، ط 4، موقع الطريقة الشاذلية الدرقاوية،حلب،2001.

47. الغالي المهدي ،**الرحلة الناصرية الكبرى**،ط1،منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ج 1،2013.
48. الغلي المهدي، **الرحلة الناصرية الكبرى**،ط1،منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب، ج 1،2013.
49. فركوس صالح ،**الحاج أحمد باي قسنطينة 1826-1850**، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2009.
50. القاسمي الحسيني عبد المنعم، **أعلام التصوف في الجزائر**، ط 1، دار الخليل ، الجزائر،2006 .
51. كنون عبد الله ،**النبوغ المغربي في الأدب العربي**، دط، د د ن، الدار البيضاء، دت، ج 1.
52. كنون عبد الله ،**النبوغ المغربي في الأدب العربي**،ط 2، د د ن، المغرب، د ت.
53. لأخضري محمد الصغير، **مختصر الأخضري في العبادات على مذهب الإمام مالك**، ط 3، مطبعة مصطفى حلبي، مصر،1955.
54. مصمودي فوزي ،**العلامة الموسوعي عبد الرحمن الأخضري(1514،1575م)**، د ط، دار موفم للنشر، الجزائر، 2008.
55. مطلوب أحمد، **الأرقام العربية**، ط 2،مؤسسة الرسالة،بيروت،1983.
56. معين عساف نبيل، **قواعد التصوف للشيخ أحمد زروق الفاسي**، د ط، د د ن، دب، دس.
57. مقدم مبروك ،**الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني**، د ط، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر،2006.
58. ناصر الأخضري عمار المختار بن ،**الضياء على الدرة البيضاء في الفرائض**،ط 2، دار الرشيد، المدينة المنورة،ج1،1990.
59. نور الدين عبد القادر، **صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد العثماني**، دار الحضارة، الجزائر،2006.
60. يقطين سعيد، **السرد العربي مفاهيم وتجليات**، ط1، دار رؤية للنشر والتوزيع،1، القاهرة، 2006.

61. يقطين سعيد، **السرد العربي مفاهيم وتجليات**، ط 1،دار رؤية للنشر والتوزيع ،القاهرة ،2006.

2-الدوريات والرسائل الجامعية والملتقيات:

1. ابن قايد عمر، وبوسليم صالح، **الأضرحة والمزارات في الجزائر العثمانية من خلال كتب الرحلات المغربية**، مجلة العلوم الإنسانية والإجتماعية، ورقلة، ع 21، ديسمبر 2015.
2. أبو زهرة محمد، **مالك حياته وعصره-آراؤه وفقهه**، ط 2، دار الفكر العربي،1946.
3. البوعبدلي المهدي،"**عبد الرحمن الأخضري وأطوار السلفية في الجزائر**"، مجلة الأصالة ، ع53، الجزائر
4. بوقمرة عمر ،"**عبد الرحمن الأخضري المجدد البلاغي(دراسة مقارنة)**"،مجلة دراسات ،الشلف، ديسمبر 2016.
5. جلول دواجي عبد القادر ،"**أعلام أدب الرحلات المغاربية**"،مجلة تاريخ العلوم ،الجزائر،ع 6، 2017.
6. حمينات ميلود ،**من البرهان إلى العرفان رحلة البحث عن الحقيقة أبو حامد الغزالي من التفلسف العقلاني إلى التصوف العرفاني**، **الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية**، الأغواط، ع 15، جانفي 2016.
7. خنفر يوسف بن حسين ،**العلامة محمد الصغير البسكري حياته وآثاره**، د ط، د د ن، جامعة ورقلة، د ت.
8. دواجي عبد القادر جلول ،''**أعلام أدب الرحلات المغاربية** ''،مجلة تاريخ العلوم ،الجزائر،ع 6 ،2017.
9. رزوقي عبد الله ،**الطرق الصوفية ومنطلقاتها الفكرية والأدبية بمنطقة توات**،أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه العلوم في الأدب العربي،قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح (ورقلة) 2016-2017.
10. رزوقي عبد الله،**الطرق الصوفية ومنطلقاتها الفكرية والأدبية بمنطقة توات**،أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه العلوم في الأدب العربي، قسم اللغة والأدب العربي،كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2016-2017.

11. رفعت أسوادي عبد حسون الناشي،**التصوف في منظور القرآن والسنة النبوية والعلماء(قراءة أدبية)**،**مجلة الكلية الإسلامية الجامعية**،النجف الأشرف،ع42،1997.
12. روباش جميلة ،**أدب الرحلة في المغرب العربي**،مذكرة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الأدب الجزائري القديم ،قسم الآداب واللغات، كلية الآداب واللغات،جامعة محمد خيضر، بسكرة،2014-2015.
13. سعودي يمينة، **الحياة الأدبية في قسنطينة(خلال الفترة العثمانية)**،بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في الأدب الجزائري القديم،قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الأخوة منتوري، قسنطينة،2005 -2006.
14. شرويك محمد الأمين ،"**إنتقال التصوف إلى بلاد المغرب**"،مجلة آفاق،العدد،2017.
15. شهبي عبد العزيز، **مساجد أثرية في منطقتي الزاب ووادي ريغ**، بحث مقدم لنيل دكتوراه الحلقة الثالثة في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر،1984-1985.
16. طالبي عمار،"**عبد الرحمن الاخضري حياته وأعماله**"،مجلة العلوم الإسلامية ،ع2، جامعة الأمير عبد القادر، دار البعث، قسنطينة، الجزائر،1987.
17. عطلاوي عبد الرزاق، **إسهامات البعثات العلمية في النهضة العلمية والفكرية الجزائرية(1900-1954)**،ع 9،أعمال المؤتمر الدولي التاسع،الجزائر،18-19 أوت 2015.
18. الغزالي مشتاق بشير ،**(أعمدة التصوف الإسلامي في ميزان المستشرقين،جامعة الكوفة)**،جامعة الكوفة، دم، دع، دت، دب.
19. فايزة طايبي أحمد، **البحث الدلالي في العصر التركي من خلال السلم المرفق في المنطق لعبد الرحمن الأخضري**،مذكرة لنيل شهادة الماجستير ضمن مشروع الدراسات اللغوية والنحوية في العصر التركي بالجزائر، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة حسيبة بن بوعلي،الشلف،2008-2009.
20. معلم صلاح الدين،**الموارد المائية واستعمالاتها بدائرة طولقة(ولاية بسكرة)**، مذكرة لنيل درجة الماجستير في تهيئة الأوساط الفيزيائية(المياه والتهيئة)، قسم التهيئة العمرانية،

كليـة علـوم الأرض الجغرافيـا والتهيئـة العمرانيـة، جامعـة منتـوري، قسـنطينة،2010-2011.

21. نواب محمد يوسف عواطف،**الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين**،مذكرة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسـلامي، قسـم الشـريعة، كليـة الشـريعة والدراسـات الإسـلامية، جامعـة أم القرى،1411هـ/1991م.

22. هواري محمد ،**شـرح السـلم المرونـق فـي علـم المنطـق**،مـذكرة مقدمـة لنيـل شـهادة الماجستير، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبـي بكر بلقايد، تلمسان، 2012-2013.

23. هواري محمد ،**شـرح السـلم المرونـق فـي علـم المنطـق**،مـذكرة مقدمـة لنيـل شـهادة الماجستير ، قسم التاريخ وعلم الآثار،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبـي بكر بلقايد ، تلمسان (الجزائر) 2012-2013.

3- المعاجم والموسوعات والقواميس:

1. ابن منظور أبي الفضل جمال الدين، **لسان العرب**، ط 1،دار صادر،لبنان ،ج 11، د ت.
2. بن بريكة محمد بن، **موسوعة الطرق الصوفية**، د ط، دار الحكمة، الجزائر، 300، ج 114.
3. بن بريكة محمد، **موسوعة الطرق الصوفية**، ط 6، دار الحكمة،ج2، الجزائر، د س.
4. بن زكريا أبي الحسن أحمد بن فارس ،معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، ط 2، دار الفكر، سوريا، د س، ج 2.
5. الحنفي عبد المنعم ،**الموسوعة الصوفية**،ط1، دار الرشد،القاهرة،1992.
6. الحنفي عبد المنعم، **الموسوعة الصوفية**،ط1،دار الرشد،القاهرة،1992 .
7. صيد الحليم ،**معجم بسكرة**، د ط، دار النعمان للنشر والتوزيع،الجزائر،2014.
8. صيد عبد الحليم، معجم بسكرة، د ط، دار النعمان للنشر والتوزيع، الجزائر،2014.
9. كحالة عمر رضا، **معجم المؤلفين**، دط، مؤسسة الرسالة، دمشق،1957،ج 1.

10. مجدي وهبة وكمال المهندس، **معجم المصطلحات الأدبية في اللغة والأدب**، ط 2، مكتبة لبنان، لبنان، 1984.
11. المجذوب الفاسي عبد الكبير وآخرون، موسوعة أعلام المغرب، تح محمد حجي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت. لبنان ،1996.
12. المهندس مجدي وكمال ،معجم المصطلحات الأدبية في اللغة والأدب ،ط 2، مكتبة لبنان، لبنان،1984.
13. نويهض عادل، **معجم أعلام الجزائر**، ط1، دار الأبحاث للنشر،الجزائر،2013.

المراجع الاجنبية:

1. Mohammad b. Mohammad al-Udwani, Tarikh Al Udwani ,Texte etabli par,Abu-L-Qasim Sa'dallah,Dar Al-Gharb Al-Islami,Liban,1996
2. Ernest Mercier, Elvation de la Famille El-Feggoun,constantine,L Arnolet,AD,Brahae, 1879.

فهرس المحتويات

شكر وعرفـــان 4
قائمة المختصرات 5
مقدّمـــة..... 6
الفصل الأول: التعريف بالعلامة عبد الرحمن الأخضري..... 5
المبحث الأول: نسب العلامة عبد الرحمن الأخضري 6
المبحث الثاني: تعـليم الأخضري وثقافته:.....12
المبحث الثالث: زواجـــه وذريتـــه: 20
المبحث الرابع: أهـــــم تلاميـــذه:.....24
المبحث الخامس: وفاة العلامة عبد الرحمن الأخضري 29
الفصل الثاني: الرحلة في حياة العلامة عبد الرحمن الأخضري.....33
المبحث الأول: التعريف بالرحلة :.....34
أولا–تعريف الرحلة لغويا:.....34
ثانيا–التعريف الاصطلاحي: 36
المبحث الثاني–الرحلات الداخلية والخارجية لعبد الرحمن الأخضري:.....39
أولا: الرحلات الداخلية: 39
ثانيا–الرحلات الخارجية لعبد الرحمن الأخضري:.....40
المبحث الثالث: نظرة بعض رحالة المغرب الإسلامي للأخضري: 42
أولا. الرحلة العياشية:.....44
ثانيا. الرحالة الحسين الورثلاني: 46
الفصل الثالث: موقف الأخضري من بعض قضايا عصره. 50
المبحث الأول: موقف الأخضري من التصوف. 51
أولا: لمحة تاريخية عن التصوف.....51
1– تعريف الـتصوف:.....51
2–أصل كلمة التصوف واشتقاقها: 51
3– ظهور التصوف في الإسلام:.....54

ثانيا: التصوف السني عند عبد الرحمن الأخضري: 58
ثالثا: الأخضري وموقفه من أدعياء التصوف(الدراويش): 60
الفصل الرابع: الإنتاج الثقافي لعبد الرحمن الأخضري 68
المبحث الأول: المؤلفات في العلوم الدينية(الفقه، الحديث): 69
أولا. القدسية: 69
ثانيا. مختصر العبادات في الفقه المالكي: 72
المبحث الثاني: المؤلفات في العلوم العقلية:(المنطق، الحساب، الفلك): 76
أولا. السراج في علم الفلك: 76
ثانيا. منظومة الدرة البيضاء: 78
ثالثا. السلم المرونق في المنطق: 85
رابعا- أزهر المطالب في هيئة الأفلاك والكواكب: 87
المبحث الثالث: المؤلفات اللغوية: 88
خاتمـــة 91
الملاحــق 94
قائمة المصادر والمراجع 99
فهرس المحتويات 111